التشكيلات القتالية العربية
في صفوف جيش ألمانيا النازية:
المقدمات التاريخية- الأهداف والأبعاد

زياد أسعد منصور*

لم يلق موضوع استخدام الرايخ الثالث للمقاتلين العرب للقتال ضد الحلفاء أي اهتمام جدي في الأبحاث التاريخية العربية، وظل هامشيًا أو بعيدًا من الأنظار، وتجنبه الكثير من الباحثين لهذا السبب أو ذاك باعتباره موضوعًا معقدًا وشائكًا للغاية، تتقاطع وتتشابك فيه الكثير من المحظورات النابعة من حدة الصراع الذي شهدته منطقتنا العربية منذ ظهور دولة اسرائيل، وحروبها الاحتلالية في العالم العربي، حتى أنَّ أي نقاش حول هذه المسألة كان ولا يزال يولِّد العديد من الآراء المتناقضة لدى المؤرخين والمستشرقين لتباعد مواقفهم واختلافها، على الرغم من أنه حظي باهتمام كبير في الأدبيات التاريخية الروسية والغربية على حد سواء، ذلك أنَّ التشكيلات "الشرقية" وفق تسميتها، كانت بمثابة وحدات قتالية كاملة لناحية العديد والتجهيز، لا بل شكلت أهم الوحدات الخاصة الأجنبية التي قاتلت إلى جانب الألمان في الحرب العالمية الثانية، إلى جانب متطوعين هنود وآخرين من البلقان، كذلك كان هناك مسلمون من مواطني الاتحاد السوفياتي من آسيا الوسطى وكازاخستان، ومنطقة وراء ووسط القوقاز، والفولغا وشبه جزيرة القرم.



لقد تركز اهتمام الباحثين على إظهار دور هؤلاء من وجهة عسكرية بحتة، أي إن الجهد التاريخي والبحثي انصبَّ على معالجة الجانب العسكري للأحداث بما يخدم المتخصصين في التاريخ العسكري، دون التعمق بالأسباب والدوافع التي جعلت هؤلاء ينخرطون في القتال إلى جانب دولة كادت أن تعادي العالم أجمع، وفتحت جبهات القتال شرقًا وغربًا وشمالًا.

وبالطبع إذا سرنا وفق المحددات التي أرادها هؤلاء الباحثون، فإنه من الطبيعي السؤال عن مدى مساهمة هذه الوحدات في الجهود العسكرية العامة لألمانيا، التي يبدو من بعض الأرشيفات الغربية، وجود محاولات للتقليل من أهمية هذه المشاركة، تحت شعار أنَّ مشاركتها في الأعمال العدائية والحربية كانت ضئيلة للغاية، بحيث ووفق هؤلاء، فإنَّ الموارد التي أنفقت

على إنشائها لم تكن مبررة، بل شكلت عبئًا ماديًا ثقيلًا على ألمانيا، واستنفدت الكثير من الإمكانات العسكرية الإجمالية.

في المقابل فإن المؤرخين الروس يُعدّون وجهة النظر هذه تبسيطًا غير مقبول، وملتبسًا، ذلك أن المتطوعين الأجانب بصفة عامة والعرب والمسلمين بصفة خاصة، قاتلوا بشدة ضد القوات السوفياتية المنظمة، وقد سمح وجودهم في البلقان للرايخ الثالث بالسيطرة على جزء كبير من هذه المنطقة، كما فتح الباب لتحرك وحدات عسكرية أخرى تابعة لدول المحور (الألمانية بالدرجة الأولى) وتسخير جهودها للعمل بعدوانية أكبر على الجبهة الشرقية أي ضد الاتحاد السوفييتي، ويلفت هؤلاء إلى أنَّ معظم الذين تناولوا هذا الموضوع لا يلاحظون هذه الحقيقة، ويتعامون عنها بقصد أو دون قصد.

على أنَّ هناك وجهة نظر ثالثة، وهي أقرب إلى وجهة نظر المؤرخين العرب، التي تعاملت مع قضية تشكيلات المتطوعين الأجانب، من باب أنَّ الهدف من إنشائها حَمَلَ كان سياسيًّا أكثر مما هو عسكري، بل جاء لأجل استخدامها في الحرب السياسية التي شنها أدولف هتلر (Adolf Hitler/ 1889 – 1945) ضد أعدائه، حيث يعمد هؤلاء إلى التركيز على الدوافع السياسية والدينية والإيديولوجية والعرقية باعتبارها عوامل يمكن أخذها في الحسبان عند مناقشة مسألة التشكيلات الإسلامية والعربية هذه، بُعيد حقبة بدأ فيها المهاجرون اليهود يتدفقون إلى فلسطين برعاية دولية لإنشاء كيانهم الغاصب.

انطلاقًا مما تقدم تأتي هذه الدراسة وانطلاقًا من اعتبار موضوعها مادة سجال تاريخي، بهدف إعطائنا رؤية علمية أكثر شمولية، مقارنة مع تلك الصادرة باللغة الألمانية والإنجليزية والروسية حول إشكالية الظروف التي أحاطت بمسألة خلق تشكيلات المتطوعين المسلمين والعرب وتنظيمهم وتدريبهم واستخدامهم، بالإضافة إلى ذلك تحليل ما هدفت إليه الدعاية النازية عبر استخدامها الواسع النطاق للدعاية والتحريض التي استهدفت العالم العربي والإسلامي لتأليبه على أعدائها في مناطق شتى، كما ومساهمتها وتأثيرها في خلق وتكوين الروح القتالية والمعنوية لدى التشكيلات الإسلامية. واستكشاف كيف أنَّ النازيين استخدموا إلى أبعد الحدود، مسألة العداء الديني والعرقي القديم في مناطق مختلفة في شبه الجزيرة العربية وبلاد فارس وأفغانستان والبلقان، وشبه جزيرة البلقان، وبلاد الشام، وتطبيق مبدأ "فرق تسد" بين شعوبه بنجاح.

يمكن القول إن استخدام الألمان "السياسة الإسلامية" كان ناجحًا، خصوصًا في الكيانات العربية وفي الشرق الأوسط – وهو المكان الوحيد في عالم اليوم حيث حظي هتلر بشعبية كبيرة.

- أسئلة البحث ومصادره

على أساس ما تقدم حاول الباحث إثارة تساؤلات عدة، هدفها التوصل إلى عدد من النتائج التي تساعد في استبيان حقيقة هذا الموضوع الشائك:

• لماذا انقاد بعض العرب وراء هتلر وألمانيا النازية، في الوقت الذي كانت

مصالح العديد من دوله الناشئة تفترض بها أن تكون إلى جانب إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفييتي؟

• هل فعلًا كان هتلر لا يريد أن يكون لليهود دولتهم في فلسطين، وما مدى ارتباط هذا الموضع بقضية المتطوعين وقتالهم إلى جانبه؟

• كيف أسهم هؤلاء المقاتلون في تحقيق إنجازات حقيقية لصالح هتلر ونظامه؟

• هل يعد تخلي البريطانيين عن العرب في مسألة فلسطين باعثًا حقيقيًا للقتال والتطوع؟

• هل أن قتال هؤلاء هو قتال ارتزاق أم كان قتالًا مؤدلجا؟

• ما هي الظروف التاريخية التي أحاطت بتعاون وتسهيل بعض العرب في تجنيد وتعبئة هذه الأفواج، كدور مفتي القدس الأكبر الشيخ أمين الحسيني (1895 – 1974) وغيرهم من حلفائه في العراق؟

• ما هو الدور الذي لعبه الشيخ أمين الحسيني في الدفاع عن القضية الفلسطينية؟

لقد اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر والمراجع المهمة التي لولاها لما أمكن التوصل إلى تصور شامل للموضوع، ولعلها تلك غير المنشورة أو غير المترجمة إلى اللغة العربية لباحثين روس، وتلك الصادرة عن الأرشيف الروسي الذي يقدم تسلسلًا كرونولوجيًا للأحداث التاريخية التي تزامنت مع هذه الفترة التي قادت إلى تشكيل هذه الأفواج القتالية، وما رافقها من أحداث على الصعيد العربي والفلسطيني، وموقف ألمانيا الحقيقي من موضوع الرغبات العربية ومدى تلاقيها مع مصالح الدولة النازية.

هذه المعلومات قدمت مادة تحليلية حول مشاركة هؤلاء في مختلف مراحل القتال، كما استندت الدراسة إلى أبحاث عربية ذات غنى، وقدمت مادة تاريخية مهمة فيما يخص هذه المرحلة من بينها مؤلف سامي مسلّم (صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية)، وعبد الرؤوف سنّو (ألمانيا والإسلام)، إلى جانب أفضل مؤلف من وجهة نظر الباحث الذي اهتم بموضوع ألمانيا والعرب للمؤرخ لوكاز هيرزوير (ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي)، وعلي محافظة (العلاقات الألمانية- الفلسطينية)، وكتاب غرهرد هب، وبيتر فين، ورينيه فِلْدنغل (عميان عن التاريخ؟! العرب وألمانيا النازية واليهود)، وعبد الرحمن عبد الغنى (ألمانيا النازية وفلسطين 1933-1945)، ومحمود صالح منسى (الشرق العربي المعاصر – الهلال الخصيب).

أمـا المصادر الأجنبية فهي مهمة في هـذه الدراسة، والتي تمكننا من الحصول على تصور شامل عن هذه المرحلة، ومنها:

• Matar Philip: the mufti of Jerusalem mohammed amin Al hussayni a founder of Palestinian nationalism, Columbia university, 1981.
• Hillgruber A. Hitlers Strategie, Politik und Kriegsführung 1940 – 1941. – Frankfurt-am-Main.
• Tillman H. Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg – Berlin.
• Christine Levisse – Touzé, Les camps d'internement en Afrique du

Nord pendant la seconde guerre mondiale.

- Хаджи-Мурат Ибрагибейли "Особый штаб ф:" арбские наемники на восточном фронте.
- Романенко О.В Арабы В германских вооружённых силах (1941-1943:) политический аспекты вопроса.

-Сергей Воробьев: Арабы и Вторая мировая война.

-Романько Олег Валентинович :Мусульманские легионы во Второй мировой войне.

ولا شك أن المعلومات المأخوذة من شبكة الإنترنت، سواء أكانت مقالات علمية أم أبحاث، أو موسوعات ذات أهمية كبيرة، لعلّ أهمها: موسوعة مقاتل من الصحراء الإلكترونية:

http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/index.htm

وقد شارك في إعدادها عدد كبير من الباحثين العرب والأجانب، كذلك الموسوعة الفلسطينية www.palestinapedia.net/

- المقدمة التاريخية للعلاقات العربية - الألمانية وتطور الدعم من سياسي إلى اقتصادي وعسكري مطلع القرن التاسع عشر

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، قامت ألمانيا بمحاولة جادة لإنشاء جسر لها في الشرق الأوسط، إذ حاول القيصر غليوم الثاني الذي كان قد زار المنطقة في تشرين الأول 1898، فحطّ رحاله في القدس ودمشق وبيروت وبعلبك، جذب الأتراك ومواطني هذه الرحاب بشتى السبل والوسائل، مستخدمًا إثارة المشاعر الدينية، خصوصًا خلال زيارته لدمشق وتحديدًا ضريح صلاح الدين الأيوبي[1]، فاتسمت كلماته بالإطراء والمديح للعثمانيين، داعيًا إياهم إلى أوسع تعاون، بما في ذلك التعاون العسكري.

هذه الدعوات والخطابات الرنانة كالتي ألقاها في دمشق نبّهت سلاطين الإمبراطورية العثمانية إلى أبعادها وخلفياتها العميقة[2]، ذلك أنها لم تكن ترغب لحسابات دولية وجيوسياسية في أن تصبح محمية ألمانية، على الرغم من أنَّ الآلة العسكرية العثمانية كانت خاضعة بعض الشيء للصناعات الألمانية، كذلك ممثلي العديد من القبائل العربية المنضوية تحت لواء وحدات خاصة في الجيش الألماني كانت تخضع بدورها لأمرة ضباط ألمان؛ وتشير التقديرات إلى أنَّ الجيش العثماني ضمَّ 300 ألف مقاتل عربي من العراق والشام، شكّلوا ثلث الجيش العثماني المقاتل خلال الحرب، انتقل قسم منهم للقتال إلى جانب البريطانيين بعد هزيمة ألمانيا وتركيا في الحرب العالمية الأولى.

في هذا السياق يؤكد المؤرخ اللبناني عبد الرؤوف سنّو أن: "الألمان عملوا في أعقاب الهزائم التي لحقت بالجيش العثماني في الحرب الإيطالية العثمانية 1912، والحروب البلقانية عامي 1912- 1913 على إعادة بناء هذا الجيش كي يكون مؤهلًا للقتال والحرب[3]. لكن برلين لم تتخل عن محاولات الحصول على موطئ قدم لها في الشرق الأوسط. وقد بدأت مثل هذه

السياسة تأخذ مسارًا حثيثًا منذ خطاب الإمبراطور غليوم الثاني في دمشق 1889 حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، فقد سارت السياسة الألمانية قدمًا في استمالة الشعوب الإسلامية الخاضعة لبريطانيا وفرنسا وروسيا لاستغلال قدراتها في انتفاضات تنهك تلك الدول وتشغل قواتها.

ويشير المؤرخ سنّو إلى أنّ ألمانيا عملت على توطيد نفوذها في سورية ولبنان وفلسطين، وإنهاء نفوذ دول "الوفاق الودي" في المنطقة، كما سعت إلى التقرب من السكان المسلمين مستخدمة في ذلك أساليب الدعاية وتوزيع المنشورات باللغة العربية، ودعوة وطنيين عرب إلى ألمانيا أمثال الأديب والمفكر الأمير اللبناني شكيب أرسلان (1869 – 1946) واستغلال ذلك في عرض نفسها كصديقة للإسلام[4].

استخدمت ألمانيا كل طاقتها في هذه العملية وصولًا إلى استخدام مستشرقين ألمان مثل ماكس فون أوبنهايم (Max Von Oppenheim) الذي كان رئيسًا لوكالة أخبار الشرق، وكان من بين أبرز أهدافها "إثارة الشعوب الإسلامية في ممتلكات فرنسا وبريطانيا في ما وراء البحار، والقيام بالدعاية والدعاية المضادة حول سير الحرب في كل العالم الإسلامي.

بعد وصول هتلر إلى السلطة، استمرت هذه السياسة لا سيما أنَّ الزحف نحو الشرق الأوسط والأدنى، كان بهدف تعزيز موقعها الاستراتيجي والاقتصادي من خلال إعادة إحياء مشروع سكة الحديد الذي يربط برلين بفيينا فإسطنبول وصولا إلى الخليج العربي، وهو الحلم الذي راود غليوم الثاني ولم يتحقق إلا بعد انتهاء الحرب الثانية.

عملت الحكومة النازية على تحسين العلاقات الاقتصادية مع مختلف الأقطار العربية، كما عمل هتلر ودوائره على تعزيز علاقاته بالقوى الداعية إلى الاستقلال عن بريطانيا، خصوصًا في الفترة التي شهد فيها العراق الثورة في 29 تشرين الثاني التي أتت بالحكومة الكيلانية إلى السلطة.

لقد رأى بعض القوميين العرب في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي في ألمانيا حليفًا في نضالهم ضد بريطانيا، على الرغم من توقيع الاتفاقية التي عرفت باتفاقية "هافارا"، في 25 آب 1933 بين ممثلين عن الصهاينة الألمان ووزارة الاقتصاد الألمانية النازية، وكان الهدف منها تدعيم هجرة اليهود الألمان إلى فلسطين من خلال تقديم المبالغ الضرورية دون الإرهاق المفرط بالموجود النقدي في مصرف الرايخ، وفي الوقت نفسه زيادة الصادرات الألمانية إلى فلسطين[5]، كما أنَّ الغاية الرئيسة التعجيل بهجرة اليهود من ألمانيا.

ومن المهم الإشارة إلى أنَّ استنتاجات المؤرخين الذين تناولوا موضوع المصالح الألمانية في المشرق وفلسطين، صحيحة إلى حدّ بعيد، بحيث أنَّ السياسة الألمانية تجاه اليهود وفّرت الشروط التي تساعدهم على الهجرة إلى فلسطين للتخلص من نفوذهم. وأوجد تشكُّل الاتجاه المعادي للسامية لدى قيادات الحزب النازي، ونشاط ألمانيا المعادي لروسيا وبريطانيا وفرنسا، مناخًا سياسيًّا لبروز حركة معادية لمصالح

الدول الكبرى، هذه التي أعربت عن تأييدها العلني والضمني لهجرة اليهود إلى فلسطين، ومن ثم ولادة الكيان الإسرائيلي.

في ظل هذا المناخ العام ظهر النشاط البارز للحاج محمد أمين الحسيني، المعروف بمفتي القدس الأعظم، الذي شرع في إظهار نشاط معين في هذا الاتجاه، بعد سلسلة من المواقف التي أعلنت عنها النازية المرحبة بالثورة العربية، والتعاطف الكامل معها، خصوصًا بعد صدور قرار لجنة وليم روبرت بيل[6]، وقد أنيطت بلجنة بيل التحقيق بالأمور الآتية:

1. أسباب الثورة الفلسطينية التي أسمتها بريطانيا، اضطرابات وأعمال عنف خارجة على القانون؛
2. كيفية تنفيذ صك الانتداب على فلسطين، بالنسبة إلى التزامات بريطانيا نحو كل من العرب واليهود؛
3. تقديم توصيات لإزالة الظلامات المشروعة، يقدمها العرب أو اليهود عن طريقة تنفيذ الانتداب[7].

توصلت اللجنة إلى أن سياسة حكومة الانتداب فاشلة، ويجب إنهاء الانتداب بإنشاء دولة يهودية بين صفد وعكا وطبريا في الجليل، وحيفا وتل أبيب في الساحل، وضم القسم العربي من فلسطين إلى شرق الأردن، وقيام دولة عربية موحدة، مع إبقاء القدس وبيت لحم واللد ويافا تحت الانتداب البريطاني. رفض العرب قرار التقسيم رفضًا باتًا، وعمت المظاهرات وأعمال العنف. في 26 أيلول 1937 تم اغتيال القائد الإنكليزي للجليل لويس أندروز في مدينة الناصرة، فاندلعت الثورة من جديد، وبدأ الإنكليز باتخاذ إجراءات قمع وبطش لم يسبق لها مثيل.

اتخذت القيادة النازية مواقف معارضة للتقسيم، وإنشاء دولة يهودية في فلسطين عكستها في لقاءات مع قيادات عربية من بينها لقاء المبعوث الألماني في بغداد غروبا مع حكمت سليمان رئيس وزراء العراق في ذلك الوقت، وفي 16 تموز زار الأخير الحاج أمين الحسيني مفتي القدس ورئيس اللجنة العربية العليا، وهو ما عُدّ الاحتكاك الرسمي الأول بين المفتي وممثلي الرايخ، حيث أكد المفتي تقديره لألمانيا الجديدة، معربًا عن أمله في أن تساند العرب باتخاذ موقف في الصحافة أو إبداء المعارضة بشكل أو بآخر للآمال الصهيونية في فلسطين[8].

تشير مصادر تاريخية أخرى إلى أن اللقاء الأول أتى إثر تسلُّم الحزب النازي للسلطة، وتعيين هتلر مستشارًا لألمانيا في 30 كانون الثاني 1933، حينها هنأ الحسيني في 21 آذار 1933، فولف القنصل الألماني في القدس، "بالحكم الجديد في ألمانيا"، لكن فولف اكتفى بهذه "التهنئة" من دون تعقيب، وانتهز الحسيني فرصة اشتراك فولف في حفلة مسيرة النبي موسى في نيسان، فأعرب له عن معارضة العرب "إرسال اليهود الألمان إلى فلسطين[9]. كما سعى إلى إقامة علاقات طالبًا الدعم من الرايخ خصوصًا بعد نشوب المقاومة الفلسطينية المسلحة ضد الانتداب البريطاني عقب الإضراب العام في فلسطين عام 1936، كما بذل جهدًا للحصول على

مساعدات عسكرية منها وخصوصًا خلال زيارة له للقنصل الألماني في القدس "دولي" الذي خلِف فولف، وطلب منه رسالة توصية لأحد مساعديه أمين العلمي لزيارة برلين. كما زار وفد من اللجنة السورية لمناصرة الشعب الفلسطيني، القنصل الألماني في بيروت زايلر في أيلول عام 1937، حيث طرح الوفد مسألة شراء الأسلحة ولم تتكلل بالنجاح، ثم أرسل الدكتور سعيد إمام إلى برلين في أيلول 1937، فعرض تعاونًا عربيًّا ألمانيًّا شاملًا، اشتمل على تعهدات من قِبل الجانب العربي، وعلى تسعة تعهدات طالب فيها بأن تلتزم ألمانيا بها. وارتكزت أسس التعاون على ضرورة تنسيق إعلامي متبادل، ودعم حركة التحرر العربية، والعمل من أجل المصالح الاقتصادية الألمانية، والدعاية لمصلحة ألمانيا في حال نشوب حرب، ومكافحة الشيوعية، ومقاطعة البضائع والمنتوجات اليهودية، ومواصلة العنف في المستعمرات، ومكافحة الجهود الرامية إلى إقامة الدولة اليهودية[10].

لذلك يمكن اعتباره من أهم الشخصيات العربية الرئيسة في تاريخ العلاقات بين الرايخ الثالث والعالم العربي.

ربما كان وصول هتلر إلى السلطة، ووقوف ألمانيا وإيطاليا ضد مواقف بريطانيا وفرنسا في فلسطين وبلاد الشام، الدافع الرئيس للمفتي أمين الحسيني للتقرب من النازيين، على أمل أن يساعدوه في إنشاء دولة عربية مستقلة، وبهذه الطريقة أمِلت الأوساط القومية العربية أن تتخلص من البريطانيين والفرنسيين، الذين قسموا الشرق العربي بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية. فليس من المستغرب أن الحاج أمين الحسيني كان معارضًا في المقام الأول للانتداب البريطاني في فلسطين، الذي كرسته لندن بتفويض من عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى.

في هذه الأثناء رأى البريطانيون في رجل كان يتحدث في كثير من الأحيان بخطاب ولهجة معادية للسامية، "قوة موازية" لقوة الحركة الصهيونية يمكن استغلال وجودها لمزيد من تثبيت أحقية خياراتهم السياسية في المنطقة، فلجأت إلى التشهير بالمفتي، والحط من قدره، وإشاعة الأخبار الكاذبة عنه، بعد اكتشاف أنها لا تملك أساسًا قانونيًّا لإلقاء القبض عليه، وتقديمه للمحاكمة، وفي مقابل ذلك، كانت تحاوره وتتفاوض معه لحل الكثير من القضايا كي لا تثير غضب الفلسطينيين الممتعضين من الموقف البريطاني بشأن إنشاء دولة إسرائيل.

على هذا الأساس طبق المفوض السامي على فلسطين هيربرت صموئيل[11] أسلوب العصا والجزرة الاستعماري مع الحسيني، فتارة كان يسجنه لعدة أسابيع (على سبيل المثال بحجة تنظيم أعمال الشغب في القدس في نيسان 1921)، وتارة أخرى كان يعيد تعيينه مفتيًا اكبر للقدس أو رئيسًا عامًا للمؤتمر الإسلامي عام 1931. في تلك الفترة لم تكن برلين وحدها ترغب بعلاقات ودية مع القوميين العرب، بل كان لروما أيضًا توجهاتها الداعمة تجاه هؤلاء، فعندما استولي موسوليني على السلطة في روما حاول أن يظهر انطباعًا لدى بعض

الدوائر العربية بأن سياسة إيطاليا تجاه العرب ستتبدل لصالح دعم القضايا العربية. وتلازم ذلك مع تشجيع مواطنيه على تأسيس تشكيلات فاشية في مناطق عربية مستهدفة، وفي عام 1926 استغل موسوليني قدرة الثوار السوريين على الصمود في وجه الفرنسيين، ليشن حملة شديدة على فرنسا طالب فيها بالبلاد السورية كمدى حيوي للشعب الإيطالي[12]. ومع ذلك اختار مفتي القدس التحالف مع النازيين، وعشية الحرب العالمية الثانية، كان الحاج أمين الحسيني يعتبر حليفًا نشطًا للنازيين.

إذا كان بعض الزعماء العرب يطالبون بالمساندة السياسية إما على شكل تصريح يدلي به أحد كبار المسؤولين، أو بمعارضة عامة لقيام الدولة اليهودية، لكن النازيين فضلوا العمل بشكل سري في المرحلة الأولى.

في هذا السياق، يورد المؤرخ لوكاز هيرزويز في معرض إشهاره لحقيقة الموقف الألماني في تلك الفترة: عندما طلب رئيس وزراء العراق بأن يدلي أحد كبار المسؤولين الألمان بتصريح يؤيد فيه القضايا العربية، كان رد مكتب الشؤون الخارجية في الحزب النازي سلبيًا، وبرر ذلك بعدم وجود موقف عربي موحد إزاء تقرير بيل، لكنه أكد دعمه للمبعوثين العراقيين لدى عصبة الأمم حين يصار إلى مناقشة قضية فلسطين وإن أبدى تحفظًا بقوله: إن التعاون يجب أن يبقى قيد الكتمان"[13].

في الخلاصة يمكن القول إن الدوافع الألمانية تجاه المشرق العربي وفلسطين كانت في أساسها اقتصادية وسياسية وإيديولوجية، أي الحفاظ على موقع مهم في هذه المنطقة لأسباب تاريخية أظهرناها في هذا الفصل، سياسيًا في اطار مجابهة الدول الكبرى المنافسة، وإيديولوجيا أي في أساس موقف الحزب النازي من السامية ومعاداتها.

- الخطط الألمانية للقتال في الشرق الأوسط – دور حلفاء ألمانيا وإيطاليا من العرب قبل اندلاع الحرب الثانية

أعدت القيادة الألمانية العدة للاستيلاء على ولايات ودول الشرق الأدنى والأوسط بشكل خاص من خلال العرب أنفسهم إلى جانب الأكراد والشعوب الأخرى المتعاونة معها في هذه الأقاليم من خلال إنشاء تشكيلات محلية. هذه الخطط أظهرت لاحقًا أن النازيين الألمان في سياساتهم لم تكن تهمهم قضايا هذه الشعوب والأثنيات والقوميات كغيرهم من الأوروبيين الذين سبقوهم، ذلك أن سياسة التوسع الأوروبية الدموية نحو دول آسيا وإفريقيا في القرنين السابع عشر والتاسع عشر، تزخر بوقائع استعباد شعوب هذه القارات بمساعدة من القوات المسلحة المشكلة من السكان المحليين.

يكفي التذكير بتاريخ غزو الهند من قبل المستعمرين الإنجليز في القرنين السابع عشر والتاسع عشر، إذ من المعروف أن البريطانيين استعبدوا الشعب الهندي واعتمدوا في ذلك على القوات المسلحة التي أنشئت من السكان المحليين. كانت فرق سيناء التي شاركت في حملة الهند الشرقية آنذاك تضم ثلاثة جيوش وهي: الجيش البنغالي، والجيش المدرسي، وجيش إقليم بومباي، حيث كانت القوات المحلية من

السكان المحليين في كثير من الأحيان أكثر من قرينتها الأوروبية وبالأخص البريطانية. بالإضافة إلى ذلك استخدم المستعمرون البريطانيون القوات المحلية للانقضاض على مناطق أخرى، لذا أرسلوا جيوش بومباي إلى بورما والى الصين والدول الآسيوية الأخرى[14].

في بلدان الشرق الأدنى والشرق الأوسط أنشأ الألمان تشكيلات عسكرية محلية وتشكيلات قتالية، وفرقًا متعددة المهام، وشبكات من العملاء ومراكز للتجسس استطاعت عن طريق التهديد والابتزاز تارة، والإغراءات والوعود والخداع تارة أخرى، تجنيد قسم من سكان هذه المنطقة الموالين لسياساتها والعناصر القومية المحلية، وفئات اجتماعية رثة ومهمشة.

وفي إطار وضع أسس لهذا التعاون المستجد أنشأ الحاج الحسيني في عام 1936 منظمة الفتوة وهي مشابهة "لمنظمة شباب هتلر"[15]، كما قامت قيادات نازية بزيارات عدة إلى الدول العربية من بينها زيارة بالدور فون شيراخ (Baldur von schirach)، وزير الشباب النازي الذي ترأس منظمة شباب هتلر في ذلك الوقت لأغراض الاستطلاع في عام 1937، كما زار جوزيف جوبلز (Dr. Paul Joseph goebbels) القاهرة، قبل الحرب مباشرة في عام 1939[16]، وجاء أدولف أيخمان (Adolf Eichmann) رئيس قسم الشؤون اليهودية في جهاز الجستابو إلى فلسطين مرات عدة حيث اجتمع مع شخصيات عربية من بينهم الحاج الحسيني[17]، إلا أن غموضًا كبيرًا لا يزال يلف هذه الزيارات، وتعدّ شحيحة تلك المعطيات التاريخية التي تتحدث عن أبعادها وخلفياتها، الأمر الذي يحتاج إلى عناية في التدقيق والعمل الجاد في الوثائق التي يبدو أنها غير متوفرة، وهي وثائق لم يفرج عنها إلى اليوم، ويبقى أن دراستها يستند فقط إلى ما هو متوافر على شبكات الإنترنت من مقتطفات مجتزأة لتخدم أهدافها، بالإضافة إلى ما يرد في بعض الكتب التاريخية، على أنّه يبدو واضحًا تمامًا أن ألمانيا حاولت استغلال الإسلام كدين، والجامعة الإسلامية كفكرة رائجة في تلك الفترة لإثارة العالمين العربي والإسلامي ضد أعدائها، وهو لاقى قبولًا في العالم العربي وصدى إيجابيًا.

لكن هل كتب لهذه السياسة النجاح أم لا؟ هذا الأمر لا يزال أيضًا موضع نقاش واسع بين من يؤكد نجاحه ومن ينفيه؛ لكن دون أدنى شك، فإن الإسلام حظي بمكانة هامة في الدعاية الألمانية حيث تنطّح مستشرقون واقتصاديون ألمان مهمة الدفاع عن سياسة حكومتهم والتبرير لها تحت ذريعة القول إن مستقبل ألمانيا الاقتصادي هو في آسيا الصغرى وفلسطين وسورية والعراق[18].

على أن هذا كان يقابله في بعض الأحيان رغبة لدى أعداء بريطانيا العرب في حصول هذه العلاقات، مهدت الطريق لأوسع هجرة يهودية إلى فلسطين جراء السياسات البريطانية المعلنة منها والخفية بعد أن تأكد للعرب أنّ بريطانيا تخدعهم وتنساق لرأي الصهاينة، وبالتالي وقفوا موقفًا سلبيًا من فكرة التطوع والقتال في الجيش

البريطاني لما لاقوه من بطش وتنكيل على أيدي البريطانيين، الأمر الذي دفع إلى بداية إيجاد قنوات اتصال مع ألد أعدائها أي ألمانيا[19].

وفي السياق يشير المفتي الحسيني: "إلى أننا نحن من قمنا بالبداية بالاتصال السري بالألمان، خصوصًا أن الألمان منذ عهد السلطان عبد الحميد أبدوا عواطف الصداقة تجاهنا، كما كان هتلر يتمتع بشعبية كبيرة".

ويضيف في مكان آخر لقد أرسلنا رسالة إلى الألمان، تضمنت النقاط التالية:

– الاعتراف الرسمي من قبل دول المحور بالبلدان العربية المستقلة، مصر، السعودية، العراق، اليمن.

– الاعتراف بحقّ البلدان العربية الخاضعة للانتداب – سورية، لبنان، فلسطين، الأردن، بالاستقلال.

– الاعتراف بحقّ البلدان العربية الخاضعة للاستعمار البريطاني بالاستقلال (السودان، البحرين، الكويت، عمان، مسقط، قطر، حضرموت، إمارات الخليج العربي).

– إعادة عدن وبقية الأقسام المنفصلة عن اليمن والتي يستعمرها الإنجليز.

– الإعلان من قبل دول المحور أنها لا تطمع بمصر والسودان.

– الاعتراف بحقّ العرب بالوحدة استجابة لآمال الشعب.

– الاعتراف بحقّ العرب في إلغاء الوطن القومي اليهودي وإعلان دول المحور عدم الاعتراف به[20].

هذه البنود تملصت منها ألمانيا بطريقة الدبلوماسية الحاذقة، على أن الرد على هذه المذكرة أتى من خلال رسالة من وزارة الخارجية الألمانية في 3 نيسان 1941، حددت فيها معالم السياسة الألمانية وتضمنت عبارات من الودّ المفرط، وأعلنت أن ألمانيا لن تحتل أية دولة عربية وليس بنيتها القيام بذلك، كما أنّ ألمانيا تعترف بحق الدول العربية بالاستقلال، وبأن الشعبين العربي والألماني متفقين على الكفاح ضد العدو المشترك (الإنجليز واليهود)، وأنها مستعدة أن تقدم المساعدة على قدر استطاعتها في حال اضطررتم لإعلان الحرب على بريطانيا، وأنها مستعدة أيضًا لتقديم العون العسكري في أي حرب مقبلة مع بريطانيا، إذا مكنتها طرق المواصلات والإمداد من ذلك[21].

تثبت هذه الرسائل على أن الحسيني كانت له أهدافه الواضحة بوقف التمدد الصهيوني والهجرة إلى فلسطين وحماية مصالح شعبه وفق تصوراته الخاصة، وهو على هذا الأساس لم يكن يفكر بالشؤون الاستراتيجية ومخططات الاستعمار ودوائر المصالح، بل أن ميوله السياسية والعسكرية نتجت عن هواجس بتحقيق هذه الرغبات، ولربما يمكن القول إن هذه كانت أبعد طموحاته على عكس ما تم الترويج له من قبل بعض المؤرخين، من أنه أراد أن يكون زعيمًا للعالمين العربي ولحركته القومية؛ يبدو أن الألمان فهموا مع أي شخصية يتعاملون لذلك حاولت ألمانيا أن تحافظ عليه كزعيم عربي مفترض "في الاحتياط" تحقيقًا لأهدافها هي، كما أن الأيديولوجية النازية بذلت جهودًا في بداياتها للفصل بين

مفهوم "السامية" و"اليهودية" من خلال عدم الفصل بين المفهومين، كما يوضح هو في مذكراته، فحقق لهم "المفتي الأكبر" ذلك، والذي كان غير ضالع بمبادئ الفلسفة التاريخية ودهاليز السياسات الكبرى.

ويمكن القول في هذا السياق، إن السياسة الخارجية للرايخ الثالث، اعتمدت على إرث اختزنته السياسات الألمانية منذ أن بدأت تتعاطى مع العالمين العربي والإسلامي، بحيث أتت كنوع من استمرارية للحوار الذي استمر قرونًا بين أوروبا المسيحية والشرق العربي الإسلامي.

لكن كيف تطورت الأمور في المراحل اللاحقة؟

قبل شهر من هجوم ألمانيا على اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية، وبالتحديد في 23 أيار 1941، وقّع هتلر على القرار رقم (30)، الذي نصّ على أن "الألمان والعرب لديهم نفس الأعداء، هم بريطانيا واليهود، وأنهم حلفاء في القتال ضدهم". في نهاية أيار 1941، أنشأ الألمان "المقر الخاص "F" بهدف التحكم بأنشطة مجموعات التخريب والأنشطة السرّية للمتطوعين العرب في الشرق الأوسط، بما في ذلك في إيران والقوقاز لتحقيق غاياتهم في قتال هؤلاء الأعداء.

وعين للقيام بإدارة هذه المهمة الفيلدمارشال هيلموت فيلمي، الذي عمل في وقت سابق كخبير عسكري في تركيا، وكان يعدّ متخصصًا في شؤون الشرق الأوسط؛ لاحقًا تم تغيير تسمية "المقر الخاص F" إلى "الفيلق المتخصص بالعمليات الخاصة" (F). وكان معظم عناصره من الفلسطينيين والعراقيين، على أن قيادته كانت مكوّنة من ضباط وصف ضباط ألمان[22].

في هذا الإطار كتب المؤرخ العسكري الروسي حاجي مراد إبراهيم بايلي، الذي درس بعناية مسألة المقاتلين العرب في جيش هتلر: "لقد كانت تسمّى هذه الوحدات "بفرق الموت"، فهم كانوا يرتدون الزي العسكري الألماني، وقد تم تدريبهم من قبل ضباط ألمان يتحدثون بالعربية"[23].

على أنه سبق ذلك حصول الزيارة الأولى للشيخ الحسيني إلى برلين، والتقى في خلالها بسلسلة من الشخصيات القيادية لدى نظام هتلر، كما التقى بهتلر نفسه في 28 تشرين الثاني 1941 بحضور فون روبنتروب، الذي كان قد استقبله في وقت سابق في العشرين من تشرين الثاني، حيث أعرب عن تضامنه مع قضية الشعب الفلسطيني التي لا تقيم لها بريطانيا وزنًا، ويجب حلّها بالعدل، فهذه البلاد هي عربية بحتة... كما أعرب في مكان آخر عن دعمه لاستقلال الدول العربية على أن الفوهرر لا يرى مصلحة بالإدلاء بأية تصريحات في هذا الخصوص قد تؤثر على مجرى الحرب طالبه بها الضيف العربي، لأنها قد تثير بعض الأمم التي لا نرى مصلحة في إثارتها في هذه الظروف"[24].

يروي المفتي الحسيني أن هتلر أظهر له رغبة في دعم قضايا العرب، لكن الجهود ستنصب الآن على فتح طريق شمال وجنوب القوقاز... وعندما تصبح فرق الدبابات الألمانية، وتستطيع أسراب

الطائرات التحليق هناك، يكون قد حان الوقت الملائم لإذاعة البيان الرسمي حول قضية فلسطين وشعبها، وتكون ساعة العرب قد دنت، وان ألمانيا ليس لها مطامع في البلاد العربية سوى القضاء على القوى التي تحمي اليهودية العالمية.

وأضاف هتلر متوجهًا للحسيني: "... إنني أقدر تشوق العرب لهذا التصريح الذي يدعم قضيتهم، لكن أحبّ أن تحاطوا علمًا بأنني لم أعط قط أي تصريح رسمي منذ تسلمي مقاليد الحكم إلى ما بعد خمس سنوات، عندما أصبحنا من القوة بدرجة نستطيع معها أن ندعم تصريحاتنا بقوة السلاح"[25].

يظهر بعض المؤرخين أن هذا الاجتماع بين الرجلين الذي دام من 16.30 إلى 17.45، تضمن الكثير من عبارات الإطراء والمديح والثناء المتبادلة، إذ أن هتلر رأى في أمين الحسيني رجلًا متعطشًا للسلطة وماكرًا في السياسة، في الوقت نفسه، فإن الخطاب المعادي للبريطانيين ولاغتصاب اليهود لفلسطين، والمناهض للشيوعية التي كان يطلقها مفتي القدس لا يمكن إلا أن تستهوي الزعيم النازي. على أن اللقاء انتهى بشكر "المفتي الأكبر للفوهرر "على موقفه الداعم للعرب والدعم الذي سوف يقدمه، متعهدًا "بتسخير كل القوى للنضال من أجل انتصار السياسة الألمانية ومشاريعها، متعهدًا أيضًا بإنشاء "فيلق عربي" يحارب حيث تريد ألمانيا".

تشير المعطيات التاريخية إلى أنه وقبل غزو الاتحاد السوفييتي بفترة طويلة، قامت القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية بمشاركة وزارة الخارجية، بالتخطيط للقيام بعمليات ذات طابع استراتيجي بغية توسيع تمددها نحو الشرق، وتكرس ذلك في التعليمات الخاصة الصادرة عن قيادة الفيرمخت عام 1941 ويحمل الرقم 32 (التحضير لمرحلة ما بعد خطة بربوروسا)، بحيث صدرت الأوامر للجيش الألماني بضرورة مواصلة القتال ضد إنجلترا في الشرق الأوسط والأدنى في أواخر خريف 1941 وفي شتاء 1942-1941، من خلال تركيز الضربات الهجومية انطلاقًا من ليبيا عبر مصر، ومن بلغاريا عبر تركيا، ومن القوقاز عبر العراق وايران، كما صدر لاحقًا الأمر رقم 32 /أ تحت عنوان: "مهمات الجنرال الطيار (F) هلموت فيلمي، حيث حددت بغزو الشرق الأدنى والأوسط عندما تحين الفرصة، على أن يقترن عمله بحملة واسعة وإثارة للاضطرابات والانتفاضات، إلى جانب تعليمات أخرى بالاستيلاء على جبل طارق وإغلاق البحر المتوسط من ناحية الغرب، ومتابعة حصار إنجلترا حصارًا تامًا بالأسطول الألماني والقوات الجوية الألمانية، لشغل القوات البريطانية ذاتها بعمليات انزال في بريطانيا حين تكون على وشك التفكك والانهيار.

وبناءً على توصية من وزارة الشؤون الخارجية، وشخصيًا من روبنتروب، تم تعيين الجنرال غروبا ممثلًا خاصًا للبلاد العربية، وكان من ضمن مهامه بشكل خاص، ضمان وتعزيز التنسيق بين القيادة العليا للقوات المسلحة، ووزارة الشؤون

الخارجية اللتين كانتا على خلاف بشأن كيفية التعاطي مع الشرق الأوسط. "فالخارجية كانت تعلق أهمية حقيقية على العمليات الحربية في البحر المتوسط، معتبرة أن موقف السكان العرب واحتمال محاربتهم لبريطانيا أمر قليل الأهمية"[26]. يشار إلى أن غروبا كان يشغل في تشرين الأول 1932، منصب المبعوث الألماني في بغداد، وبين 1 كانون الثاني حتى 3 أيلول من العام 1939 عيّن مبعوثًا في المملكة العربية السعودية.

منذ بداية الحرب العالمية الثانية وحتى شباط عام 1943، أي حتى حصار ستالينغراد وهزيمة المجموعة (أ) في القوقاز[27]، شغل غروبا منصبه وبحماس كممثل خاص لدى الدول العربية، بالإضافة إلى كل ذلك كان مسؤولا عن التحضير لسفر مفتي فلسطين أمين الحسيني إلى ألمانيا النازية، والرئيس الأسبق للوزراء في العراق رشيد علي الكيلاني (1892 - 1965)، وأحد قادة القوميين السوريين الرائد فوزي قاوقجي، كما إنَّ غروبا شغل مناصب أخرى لا تقلّ أهمية، فقد كان مسؤولاً عن العراق، ومنذ العام 1942 أصبح رئيس اللجنة العربية في وزارة الخارجية التابعة للرايخ الثالث.

هذا الأمر يشير إلى اهتمام بدأت تظهره ألمانيا اثر الدور النشط الذي لعبه المفتي الحسيني في كسب ود الألمان، وهو الذي أراد أن يجعل من نفسه ومن غيره من السياسيين العرب حلفاء لدولتي المحور ألمانيا وإيطاليا.

وقد بدأ الألمان بالتخطيط والتنفيذ لهذه المهمة حيث تم تأسيس بعض الفيالق المجهولة العدد إلى الآن، التي كانت تسمّى "بالتشكيلات الألمانية العربية"، ففي شمال إفريقيا قاتلت تشكيلات ما كان يسمّى "بقوات الجزيرة العربية الحرة"، وشعبة التدريب العربية الألمانية، والفلانكس الإفريقي (الكتائب الإفريقية) إلى جانب النازيين حيث كان العدد الأكبر من مقاتليها من متطوعين عرب.

وقد سبق ذلك محاولات لإنشاء وحدات قتالية، حيث تم إنشاء أولى هذه التشكيلات في مدينة حلب السورية في أيار- حزيران 1941، لكنها لم تدم طويلا؛ ففي 11 آب من العام نفسه، تم إبلاغ هتلر بتفكيكها، وتم تبرير ذلك بعدم صلاحيتها القتالية، لكن استخدامها ممكن في تنفيذ غارات مزعجة وفي أعمال التخريب، فهي ليست صالحة للأعمال العسكرية الهجومية". لاحقًا في 19 نيسان 1943، تم إنشاء الفيلق العربي الحر (بالألمانية: Legion Freies Arabien) من قبل النازيين عبر جهد استثنائي بذله الحاج أمين الحسيني. لقد أتت هذه التحضيرات إثر سلسلة طويلة من الاتصالات واللقاءات مع الألمان والإيطاليين. في هذا السياق وخلال محادثاته مع هتلر في 3 تشرين الثاني، عرض المفتي خططه السياسية والعسكرية والتنظيمية، والتي تضمنت ما يلي:

أولًا: إصدار بيان سياسي من دولتي المحور تتعهد فيه الدولتان بموجبه الاعتراف بالاستقلال التام والسيادة الكاملة لبلاد المشرق العربي ودوله.

ثانيًا: إقامة فرقة عربية من العرب الراغبين في الانضمام إليها من أسرى الحرب العرب، تنظيم العرب المقيمين في دولتي المحور، وفتح مكاتب رسمية لتوجيه النشاط السياسي.

لقد كان بعض العرب يقيم في دولتي المحور، كما كان كثير من الطلبة يتابع تحصيله العلمي في الجامعات والمؤسسات الدراسية هناك. ومن ناحية أُخرى شرع فيلمي في إقامة مفرزة عربية قرب أثينا كبداية للتحضير لتشكيل هذه الوحدات وتطبيق وثيقة التعليمات 32[28].

يقول الحاج الحسيني في مذكراته: "لقد بلغ مسامعنا حينما كنا هناك تصريحًا أصدرته بريطانيا عن إنشاء الفيلق اليهودي، كما بلغنا ما يقوم به اليهود من الاستعداد الحربي وأعمال التدمير والنسف في فلسطين، لذلك بذلنا قصارى جهدنا لمضاعفة التجنيد والتدريب والاستعداد للمعركة التي كنا نتوقعها بين العرب واليهود بعد أن تضع الحرب أوزارها. وبعد مراجعات عديدة بواسطة الجنرال بيرجر وافق هتلر على مساعدتنا في المعركة المقبلة فقررت الحكومة الألمانية تشكيل قوات عربية للعمل في فلسطين كما عُهد إلى ضابطين من مجاهدي فلسطين هما القائد الشيخ حسن سلامة والسيد ذو الكفل عبد اللطيف وثلاثة ضباط من الخبراء الألمان بالسفر في الطائرة الأولى إلى أرضنا"[29].

يذكر أن غالبية المتطوعين هم من الطلاب والعمّال العرب الذين كانوا يعملون لدى البريطانيين في اليونان، ووقعوا أسرى في يدّ الجيش الألماني، ومعظمهم من الفلسطينيين، كما أن إيطاليا الفاشية ألحقت عددًا من أسرى الحرب الهنود بهؤلاء وهم الذي كانوا يقاتلون في صفوف القوات البريطانية، واضعة إياهم تحت تصرف القيادة الألمانية. كما أنشئت الكتيبة الألمانية العربية رقم 845، التي تلقت تدريبها بالقرب من مدينة لينز النمساوية، كذلك أنشئت وحدة سميت "تشكيلات الجزيرة العربية الحرة"، وقاتلت ليس في شمال أفريقيا واليونان فحسب، بل في شمال القوقاز ويوغوسلافيا أيضًا، إضافة إلى أسرى عرب كانوا يخدمون في الجيش الفرنسي حيث أنشئ فيلق المتطوعين الفرنسيين والذي عرف باسم "Tricolor". أما بالنسبة للفيلق "F"، الذي تم استخدامه في 20 آب 1942 من قبل "المقر الخاص "F" أو ما سمي باسم سوندرستاب (ف)، فهو الوحدة العسكرية الوحيدة المكونة من الألمان والعرب كجزء من القوات النازية، وقد قاتل هذا الفيلق ضد القوات السوفيتية بالقرب من مدينة دونيتسك.

تشير الوثائق العسكرية السوفييتية إلى أن قوات الفيلق العربي الألماني كانت قد تمركزت في قرية مايورسكوي، وهي ليست بعيدة عن ستالينو (دونيتسك حاليًا)، حينها خطط الألمان للانقضاض على شمال القوقاز من خلال ستالينو، ومن ثم الاستيلاء على تبليسي، والتقدم نحو غرب إيران والعراق، ومن ثم التوجه إلى الخليج الفارسي. وكانت الخطة في برلين تقضي

بأن تستولي المجموعة الألمانية – الإيطالية العاملة في شمال إفريقيا في ذلك الوقت، على قناة السويس، على أن ينضم إليها الفيلق F. لكن خطة هتلر لمواجهة الجيش الأحمر لم تسمح بتنفيذها، فلم يحدث هذا الاختراق في الشرق الأدنى والأوسط، لتبقى هذه الخطط حبرًا على ورق.

في أوائل تشرين الأول 1942، أصبح الفيلق F من ضمن مجموعة الجيش A، وأصبح تابعًا لجيش الدبابات الأول. وبالفعل في 15 تشرين الأول هاجم الفيلق F في منطقة قرية أشيكولاك في نوغاي ستيب (ستافروبول) فيلق الخيالة الرابع التابع للقوزاق، والذي كان تحت قيادة الجنرال نيكولاي كيريتشينكو. حتى نهاية شهر تشرين الثاني، واجه فرسان القوزاق المقاتلين العرب، وفي نهاية كانون الثاني 1943 وضع الفيلق "F" في تصرف مجموعة جيوش "الدون" تحت أمرة المشير ايريك فون مانشتاين.

وتشير الوثائق الروسية عند الحديث عن هذه المرحلة إلى أنه خلال القتال في القوقاز، خسر هذا الفيلق الألماني العربي أكثر من نصفه[30].

في شباط 1943، أعيد نشر بقايا الفيلق "F"، كذلك بعض الوحدات الألمانية الأخرى التي كان العرب يشاركون فيها في تونس التي احتلها الألمان. في أواخر نيسان من العام نفسه، تلقت الوحدات الألمانية العربية هزيمة نكراء على أيدي الجيوش البريطانية والأمريكية التي كانت تقاتل هناك. منذ تشرين الثاني 1943، شاركت إحدى كتائب Free Arabia في فرقة المشاة 41 في البيلوبونيز في قمع الحركة اليونانية المناهضة للفاشية، وفي تشرين الأول 1944، عندما بدأت القوات السوفييتية بتحرير يوغسلافيا وكانت تقترب من حدود اليونان، وبينما كان البريطانيون يعدّون العدة للنزول في شبه جزيرة البلقان، تم نقل الفيلق العربي كجزءٍ من فرقة (أيغر 104) إلى يوغوسلافيا على أمل منع سقوط البلاد، وبالتحديد وبالقرب من زغرب، حيث تم سحق مقاتلي "Free Arabia" بالكامل[31].

في كل الأحوال بقي القول إن الخطط الألمانية والدعم كان ينطلق من حسابات خاصة ووعود كثيرة، غالبيتها لم يبصر النور، بل كانت لا تتناسب والاحتياجات التي كان يطالب بها القوميون العرب، وإن ظهر في بعض الأحيان أن التأييد العربي لألمانيا في عمومه بقي في اطار التمنيات والرغبة بانتصار الألمان، وان تعدى في بعض الأحيان نطاق المشاعر العاطفية، على أننا ذكرنا أن من بين أسباب ذلك أن ألمانيا على عكس بريطانيا وفرنسا لم تحتل شبرًا من الأراضي العربية.

ولا شك إن محاولات المفتي في الحصول على تصريح علني من الحكومة الألمانية بحق البلدان العربية بالاستقلال باءت بالفشل، فكل ما قدمته الحكومة الألمانية لم يتعد توجيه الانتقادات لسياسة بريطانية في فلسطين والوعود بالاستقلال فهي لم تدعُ لإنهاء النفوذ البريطاني في شرق البحر المتوسط، وإنما هدفت فقط إلى الضغط على بريطانيا في المشرق العربي

لثنيها عن التدخل في وسط أوربا ولتأمين المجال الحيوي لها في شرق أوربا[32]. وكمحصلة يمكن القول إن الحاج أمين الحسيني قد أخطأ التقدير حين تقرب من ألمانيا، على اعتقاده أنها ستنتصر في الحرب، وعقده الأمل في مساعدة هذه الأخيرة لتحقيق استقلال بلاده، وطرد اليهود منها وتحقيق الوحدة العربية.

– قضية المتطوعين العرب لدى الجيش الألماني النازي: التأسيس– التدريب التجهيز والمشاركة في القتال (1941– 1943)

بدأ النازيون يغطون سلوكهم ونشاطاتهم في العالم العربي تحت شعارات مناصرة الحركات الوطنية والقومية من أجل الاستقلال الوطني. وهم استفادوا إلى حدّ بعيد من كره السكان المحليين للبريطانيين والفرنسيين، بل كانوا يتصلون بالشعب مباشرة عبر منظمات شبيبته الديناميكية وبمدارسه وكلياته وأوساطه المثقفة ومفكريه[33].

على أن الكثير من الأبحاث تناولت أشكال الدعاية النازية في العالم العربي، والتي هي في الواقع ليست من صلب اهتمامات موضوعنا، بالقدر الذي هو إبراز معالم مرحلة شابها بعض الغموض بشأن حجم القوى العربية التي قاتلت جنبًا إلى جنب مع جيش ألمانيا النازية في جبهات عدة منها الجبهات السوفييتية.

هكذا وبالعودة إلى التعليمات الخاصة في الوثيقة رقم 32 التي تم الحديث عنها آنفًا، فلقد تلقى غروبا توجيهات صريحة من روبينتروب بتاريخ 11 حزيران 1941، وجاء فيها: بما أنَّ أوضاع الإنجليز في الشرق الأوسط ستصبح معقدة وصعبة عند قيام الألمان بعملية عسكرية واسعة النطاق هناك، ذلك أنهم سيجدوا أنفسهم محاصرين بموجة عارمة من الانتفاضات وأعمال التمرد والعصيان، عليكم تقديم كل الدعم اللازم لفوزي قاوقجي وتقديم كل ما يحتاجه من معونة".

على أن فكرة إنشاء الفيلق العربي استهوت كثيرًا هتلر وأثارت اهتمامه، ذلك أنَّ استخدام تشكيلات قومية أجنبيه تتطابق والمهام المحددة للأمر التوجيهي رقم 32، أمر له مفاعيله الإيجابية بعيد تحقيق انتصارات على الجبهة الشرقية.

على هذا الأساس فانه تم في نهاية تشرين الثاني 1941، عقد اجتماع تنسيقي بين غروبا والمفتي الحسيني، حيث اقترح في خلاله المفتي الحسيني، ومن أجل تجهيز وتعزيز الفيلق العربي أن يتم تطعميه بالعناصر التالية:

- من العرب الفلسطينيين الذين وقعوا في الأسر لدى القوات الألمانية؛
- من الضباط العرب السوريين والفلسطينيين والعراقيين الذين يريدون الدخول خلسة إلى ألمانيا عبر تركيا؛
- من أسرى الحرب العرب من شمال إفريقيا الفرنسية الذين وقعوا في الأسر في فرنسا المحتلة من قبل الألمان؛
- من العرب المهاجرين من شمال إفريقيا الذين يعيشون في فرنسا؛
- من مناصري ومؤيدي المفتي من بلاد المغرب؛

ردت القيادة العسكرية الألمانية على فكرة استخدام عرب شمال إفريقيا في الفيلق العربي بطريقة سلبية، وبناءً على توصية من غروبا فقد اقتصر الأمر على الطلاب العراقيين والسوريين والفلسطينيين الذين كانوا يتابعون تحصيلهم العلمي في مؤسسات التعليم العالي في الدول الأوروبية التي احتلتها ألمانيا، وأوصى غروبا بنقل الفيلق العربي إلى رأس سونيون، ووضعه تحت أمرة الجنرال فيلمي.

على ما يبدو فان القيادة العسكرية الألمانية العليا كما القيادة السياسية، لم تكن ترغب، أو لم تكن تبدي اهتمامًا بولادة وانبعاث بذور فكرة القومية العربية في دول شمال إفريقيا نظرًا للعلاقة والتحالف مع حكومة فيشي في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا وانعكاس ذلك على العلاقة مع هؤلاء الحلفاء.

يمكن القول إنّ من أبرز أسباب عدم موافقة الألمان على مطالب الحسيني، ربما يكمن بأن التخطيط للهجوم على الاتحاد السوفييتي لم يسمح بفتح جبهات ثانية في مكان آخر، وبالتالي لم تكن هناك من حاجة لتوسيع وتجنيد القوميين العرب من إسبانيا والمغرب وفرنسا والجزائر وتونس وليبيا وكذلك مصر.

في نهاية عام 1941 استمر الكفاح الوطني في بلدان المشرق العربي ضد الحكم الاستعماري الإنجليزي الذي حاول الألمان الاستفادة منه واستغلاله إلى أبعد الحدود، ومن نافل القول هنا إنه بعد أن وسعت انتشارها السياسي والاقتصادي والعسكري في دول الشرق الأدنى والأوسط مع اندلاع الحرب الثانية الكونية، وجدت النازية في العالم العربي سندًا لها ودعمًا.

ففي أوائل آب 1941 وصل رئيس الوزراء العراقي السابق راشد علي الكيلاني إلى برلين وتم استقباله بحفاوة من قبل ريبنتروب (Ribbentrop). عقب اللقاء أعلن الكيلاني عن تعاونه الوثيق مع النازيين، وطلب من ريبنتروب أن يعلن "عن وثيقة استقلال" الدول العربية تحت رعاية ألمانيا النازية، وأن يعترف به رئيسًا لوزراء العراق بشكل رسمي. باختصار جاءت نتائج زيارة الكيلاني إلى برلين متماثلة مع الزيارة الأخيرة للمفتي الحسيني إلى هناك.

إذ أنه كما تم رفض مطالب المفتي الحسيني تم رفض الكيلاني وتحت نفس الذرائع والحجج، لكن بعد تردد دام فترة وافق ريبنتروب، في 22 كانون الأول على بعض مطالبه وسلمه رسالة أعرب فيها عن استعداد ألمانيا مناقشة شروط التعاون بين البلدين في المستقبل القريب.

ولا شك أن هذا التعاون كان ينطوي على رغبة مطلقة بالخضوع التام لألمانيا، ولربما كان النازيون يتطلعون إلى ما هو أبعد من ذلك، أي استغلال طموحات الشعوب العربية واستغلال القاوقجي والحسيني والكيلاني في مشاريعهم في المنطقة، مع تقدير خاص للحسيني أكثر مما هو عليه الحال بالنسبة لرئيس وزراء العراق الأسبق، يكفي أن هتلر استقبل شخصيًّا المفتي، بينما لم يحظ الكيلاني بهذه "النعمة".

في التاسع من كانون الثاني 1943 عندما بات واضحًا للجميع في العالم العربي أنّ هزيمة ألمانيا بالقرب من موسكو حتمية، فان أحد عملاء المقر الخاص الذي وصل من سوريا إلى أنقره أبلغ مركز المعلومات الثالث، والواقع في العاصمة التركية أن العرب في سوريا والعراق غير راضين عن الدعاية الألمانية الموجهة إلى الدول العربية. وقد أكد هذا العميل أنّ من أبرز أسباب ذلك هو الموقف الألماني المتردد تجاه إعلان استقلال لبنان وسوريا وتراجع القوات الألمانية في روسيا، وأضاف إلى ذلك، أن هناك أزمة ثقة جراء ما نقله هذا العميل من استياء شعبي عربي، جراء عدم اللياقة، وقلة الحياء، ونكران الجميل أحيانًا والتلفيقات التي يبثها راديو برلين عبر تلفيق أخبار كاذبة مخالفة لما هو الأمر في الواقع، فهذه كلها أصابت العالم العربي بإحباط وخيبة أمل لدى العامة بمن فيهم القوميون العرب المتعاطفون مع النازية[34].

لقد أحدثت أول هزيمة لألمانيا بالقرب من موسكو صدى دوليًا واسعًا، ولا شك فلقد كان للأحداث الجارية بالقرب من موسكو، أثرٌ كبيرٌ في مناطق الشرق الأدنى والأوسط ولا سيما العراق وسوريا وفلسطين وشرق الأردن. ففي ذلك الوقت كانت القوات السوفييتية والبريطانية تنتشر في ايران، هذا الانتشار أسقط هيبة ألمانيا النازية في نظر القوميين العرب بفعل هزيمة مشروعهم ومغامرتهم في ايران، وبرغم هذه التطورات فان مسألة إنشاء الفيلق العربي وخضوعه للمقر الخاص لم يشطب من جدول الأعمال بحيث أنَّ العقيد لاهاوزن ممثل الفيرماخت ورئيس أركان المقر الخاص الرائد ركس ماير، كانوا يبذلون قصارى جهودهم من أجل العمل على تدريب العناصر وتهيئتها للقتال. في هذا الوقت اقترح المفتي التوسع في الدعاية، وإنشاء وحدات فدائية عربية ووحدات نظامية تتلقى أوامرها باللغة العربية، وترفع علمًا عربيًا، وترتدي ملابس خاصة، كما اقترح إقامة اتصالات مع المنظمات المصرية وتهريب الأسلحة خلف الخطوط البريطانية"[35].

في الرابع من كانون الثاني 1942 زار الجنرال فيلمي، علي الكيلاني والمفتي الحسيني، وخلال اللقاء الذي شارك فيه الجنرال غروبا، أعرب الكيلاني عن رغبته في إبرام اتفاق حول التعاون العسكري الألماني العراقي. وبالفعل وبعد المحادثات مع قادة الحركة القومية العربية وضع غروبا وفيلمي مسودة اتفاقية عسكرية تحدثت عن مسائل عدة من أبرزها، طرق استخدام وحدة التدريب الألمانية العربية، وهو ما حدا الكيلاني في 12 أيلول من العام نفسه "الاتفاق مع القيادة العليا للقوات المسلحة الألمانية حول استخدام لواء تحرير العرب، بحيث وطبقًا للاتفاقية أضحت الوحدات العربية خاضعة كليًا للجيش الألماني، كما كان على القيادة الألمانية أن تقرر وجهة استعمال هذه القوات. وكان الكيلاني بذلك يأمل ويتصور أنه عندما تدخل القوات الألمانية إلى المجال العربي، سينضم إليهم متطوعون محليون، سينضمون بدورهم إلى الجيش العراقي المكوّن من ثلاث فرق، ومن

الممكن تشكيل فرقتين من المتطوعين العرب في سوريا. كما كان القادة العرب يأملون مشاركة العشائر العربية في الخليج العربي في القتال إلى جانبهم، حيث يمكن تجنيد ما يقارب العشرة آلاف من بين صفوفهم، وهم على استعداد للتعاون مع الجيش الألماني. على أن اللافت هو أن احدى مواد الاتفاقية تنصّ على أنه بعد ستة أشهر من انتهاء الحرب يمكن وعند الضرورة، الإبقاء على فرقتين منتشرتين هناك إذا ما طلب ذلك العراق وسوريا الكبرى رسميًا.

من جهة أخرى نشط الألمان على الجبهة الفلسطينية – اللبنانية بهدف تجنيد عناصر محلية لاستخدامها عند الحاجة. وفي هذا السياق يشير الأرشيف البريطاني إلى اجتماع عقد بتاريخ 12 شباط 1941 في منطقة رأس العين بالقرب من صور في منزل خليل بك بين الشيخ ميزر عبد المحسن واثنين من رجال المخابرات الألمانية، وهناك تبادلوا رسائل بهذا الخصوص ووعودًا كثيرة من قبل الألمان بعد الحرب[36]. ويأتي ذلك بسبب حالة التأثر الشديدة التي أبداها الشباب العرب بالدعاية النازية والفاشية، ففي مصر ظهرت جماعة "مصر الفتاة" التي كان يتزعمها أحمد حسين، وحزب الفتوة في العراق، في سوريا ولبنان ظهرت منظمات عدة منها منظمة القمصان الحديدية التي أسسها منير العجلاني، وفي حمص تأسست عصبة العمل الوطني التي تأسست عام 1932، في لبنان ولدت منظمة القمصان البيضاء وحزب الوحدة اللبنانية ومنظمة الكتائب والنجادة، وتأثر بهذه الأفكار كثيرًا مؤسس الحزب السوري القومي الاجتماعي أنطون سعادة [37] (1904 – 1949).

أما بالنسبة لاتفاق النازيين مع بعض القادة القوميين العرب حول تأسيس الفيلق العربي، فقد تم تصويره في الأساس على أنه مدرسة للقادة الشباب التي كان من المفترض أن تساهم بتدريب حوالي المئة ضابط من العرب، بالإضافة إلى ضباط وضباط صف، هؤلاء كان يجب أن يتولوا تدريب مجموعة من حوالي خمسمائة كادر، وهؤلاء ووفقًا لخطط النازيين كان من المفترض أن يكونوا في المستقبل القريب، من ضمن المستشارين والمدربين الذين ستلقى عليهم مهمة تدريب التشكيلات العسكرية العراقية والسورية التي ستنشأ حديثًا.

ويبدو من كل ذلك أن القيادة العسكرية الألمانية كانت تعدّ العدة بشكل مكثف للقيام بخطوتين جادتين في مناطق مختلفة وبعيدة كل البعد عن بعضهما البعض جغرافيًا، لكنهما تشكلان حلقة واحدة مترابطة ضمن سلسلة من الأهداف، أولها: غزو القوقاز، والثانية التحضير للانتفاضة المناهضة لبريطانيا في العراق.

وفي اطار التحضير العملاني لذلك التقى ريبنتروب بفيلمي وغروبا في 14 أيار 1942 لمراجعة هذه المهام وتحديد الموقف، حيث أبدى النازيون تقديرهم العالي لموقف كل من المفتي والكيلاني. لقد تجسدت ذروة هذه الدعاية بما عدّوه عنصرًا

أساسيًا في هذه المعركة من خلال توجيه "نداء إلى الشعوب العربية"، دعوا فيه العرب للتمرد والعصيان على البريطانيين.

إشارة إلى أنه من المفترض أن تشتعل هذه الانتفاضة فور الإعلان عن بدء دخول الجيوش الألمانية إلى القوقاز عبر تبليسي. أما بالنسبة للبعثة الخاصة وعمليات التخريب والمهام القتالية للمقر الرئيس (F) والاتفاق مع الشريك الإيطالي بشأن إنشاء الفيلق العربي، فقد تقرر أن يصل عدد المتطوعين العرب في معسكر سونون إلى 180 في المستقبل القريب، من بينهم 130 نفرًا جلّهم من طلاب الجامعات في أوروبا. كما سبق وذكرنا.

إلا أن تجاهل الدور القيادي للقادة العرب أغضب المفتي الحسيني بحيث شعر بأن الألمان يناورون، فقرر التوجه إلى روما حيث التقى بالرئيس موسوليني (Mussolini/ 1883 – 1945) في 7-5- 1942، ودعاه للمساعدة في تشكيل الفيلق العربي، لكن مع ضرورة إعادة تسميته ليصبح: "التشكيل العسكري العربي المستقل"، تحت أمرة وقيادة ضباط عرب وتحت الراية العربية.

شكل هذا التحول في موقف المفتي في العام 1942 عقبة كأداء أمام إنجاز الكثير من المهام، وذلك بسبب عناده وتعنته بشأن مطالبته باستقلالية الفيالق العربية، ما حدا بهتلر للقول على: "... حليفنا في هذه المنطقة (الشرق الأوسط) هو المفتي العظيم – ورغم كل شيء يبقى مدافعًا أمينًا عن شعبه وقومه، ومتحمسًا لأمته، في السياسة ينطلق دائمًا من المصالح الحقيقية للعرب، ولا يسترشد ببعض الأوهام السخيفة"[38].

وحينما لم يتلق أي دعم حقيقي لا من ألمانيا أو إيطاليا في سعيه إلى القيادة في العالم العربي، توقف عن تجنيد العرب في دول المحور.

يبقى السؤال: كيف تطورت الأوضاع بشأن تنفيذ الخطط لإنشاء وحدات عربية في القوات المسلحة الألمانية؟

في الواقع، لقد تم تنفيذ هذه الخطط بشكل مغاير تمامًا وبأهداف مختلفة عمّا هو مرسوم في حسابات القيادة العسكرية الألمانية!

ففي أواخر أيار- أوائل حزيران عام 1941 تم استحداث تشكيلين للأغراض العسكرية الخاصة؛ وسميت بـ"Sonderverbande" (التشكيل 287 و288) في مدينة بوتسدام، وقد تم تدريبها على أسلوب القتال الجبلي كما للمهمات الخاصة في الصحراء. بلغ عدد المقاتلين حوالي ثلاثمائة أي كتيبة في كل وحدة، وغالبيتهم من الجنود الألمان، وتم نقلها في شهري آب وأيلول عام 1942 إلى شمال إفريقيا لتعزيز "الفيلق الأفريقي" تحت قيادة رومل (Rommel/ 1891 – 1944).

بالنسبة للوحدة 287، فإن مصيرها كان مختلفًا بعض الشيء، فقد تم تجهيزها وتدريبها لتكون رأس حربة عند الشروع في عملية الاستيلاء على الشرق الأوسط، لذلك كان غالبية جنودها من سكان تلك المنطقة، ومن الذين تطوعوا للعمل في أجهزة التجسس والتخريب والدعاية، وسميت بقوات

العاصفة، أو الفرق الانتحارية وهي مجموعة تلقت تدريباتها على أيدي ضباط ألمان يتكلمون بطلاقة العربية، كما تم تجهيزها بالآليات لتتحول إلى تشكيل ميكانيكي متحرك يستطيع العمل في ظروف الصحراء. وقد بلغ عديدها 2200 جندي وضابط، بالإضافة إلى ثلاث كتائب مشاة غالبيتهم من الألمان من أصل فلسطيني، كما ضمت العديد من المجموعات من مختلف أنواع القوات القتالية "وجهزت بأحدث الأسلحة والمعدات"، وأعدت للقتال في الصحراء السورية، أي في المنطقة الواقعة بين سوريا والعراق، حيث تم تقسيمها إلى مجموعات قتالية صغيرة، كان يجب أن تعمل جنبًا إلى جنب مع الأفراد العرب والمتطوعين.

بحلول تموز 1942، تم تدريب مجموعات تتألف من 24 عراقيًا و112 سوريًا وعربًا فلسطينيين، إلى جانب 107 من دول المغرب العربي في ما سمي "مجموعة التدريب العربية". في 20 آب 1942، قررت القيادة العليا المضي قدمًا في تعزيز "المقر الخاص F" وتطعيمه بأفراد من التشكيل رقم 287 (سلاح الوحدات الخاصة "F")، ومن ثم تم نقله إلى احتياطي هيئة أركان مجموعة الجيش "A" (الزاحف نحو القوقاز) في ستالينو (مدينة دونيتسك حاليًا). ووفقًا لخطط القيادة العليا فإن الفيلق، بعد دخول مجموعة الجيش "A" في تبليسي، كان سينقل بالقطارات عبر مدينة روستوف على نهر الدون إلى القوقاز، ولاحقًا كان من المفترض أن يشارك في الهجوم باتجاه غرب إيران – العراق وصولًا إلى الخليج الفارسي، ومن ثم نحو البصرة[39].

في الفترة الواقعة بين 19 – 29 آب 1942، تمركز الجزء الأكبر من الفيلق بعد أن تم نقله من رومانيا وبيساربيا[40]، إلى قرية ماجورسكو بالقرب من ستالينو، وبحلول 10/03، انضم إليه ما تبقى من عناصر وضباط، بحيث أصبح عمليًا ضمن مجموعة الجيش "أ" (الخاضع عمليًا للقيادة العليا)، ومنذ تلك الفترة أصبح فيلقًا عسكريًا يتمتع باستقلالية، ليضم ثلاث كتائب معززة مزودة بعربات مدرعة وآليات، بلغ عدد عناصر كل كتيبة حوالي الألف جندي وضابط. غالبية ضباط وجنود الكتيبتين الأولى والثانية كانوا حصريًا مِن الجنود والضباط الألمان؛ أما الثالثة فهي بالكامل من عداد المقاتلين العرب الذين تلقوا تدريباتهم "وحدة التدريب" في "المقر الخاص F". كانت كل كتيبة من حيث القدرة النارية تساوي فوجًا كاملًا بسبب تجهيزها العالي المستوى، والتسليح المتميز في القدرات التكتيكية والنارية. بالإضافة إلى ذلك ضم الفيلق: كتيبة دبابات (25 دبابة ثقيلة ومتوسطة)، وسربًا جويًا (25 طائرة)، وسرية اتصالات، وسرية الغام، وسرية مدافع هاون، ووحدة استطلاع على العربات المدرعة والدراجات النارية، وسربًا من الفرسان (الخيالة)، وفصيلة خدمات، وأرصادًا جوية، وعددًا من المركبات وعربات النقل، كما زوّدت بكتيبة مدفعية من أربع بطاريات، وبطارية مدفعية من

عيار 105 ملم، وكتيبة ثقيلة مضادة للطائرات من ثلاث بطاريات، وكتيبة مضادة للطائرات خفيفة من عيار 20 ملم، كان هناك مقر ووحدات لقوات الإسناد (وحدة طبية، مخبز، مسلخ، ورش مختلفة إلخ)[41].

لقد كان الفيلق ميكانيكيًا بالكامل، قادرًا على تزويد قسم كبير من "المتطوعين" والمنشقين بالسلاح والذخيرة والعتاد، في مرحلة البدء بمهاجمة العراق، كما ضم مجموعات خاصة يعمل فيها ألمان متقاعدين كانوا في السابق جنودًا وضباطًا في الفيلق الأجنبي.

وكان شعار الفيلق "إكليل بيضاوي الشكل"، تتوسطه شجرة نخيل منحنية باتجاه الشمس أشعتها تلفح الرمال الصفراء في الصحراء، أما في الأسفل فوضع الصليب المعقوف الأسود"[42].

في البداية كان عدد جنود الفيلق حوالي 6000 جندي وضابط. بعد أن أعاد انتشاره في القوقاز، أعيد دمجه بتشكيل أكبر، وزود بكتائب دبابات إضافية، وفوج خيالة ووحدات أخرى. بالإضافة إلى التدريب العسكري والتأهيل السياسي، أتقن أفراد الفيلق علم الجغرافيا وتاريخ بلدان الشرق الأدنى والشرق الأوسط (وخاصة إيران والدول العربية والهند)، كما جرى تدريبهم في وقت قصير على أعمال الإغاثة والظروف الطبيعية الخاصة بهذه المنطقة، بدءًا من الحدود الشمالية لإيران وانتهاء بالهند. وتلقى الجنود دورات في اللغات التركية والفارسية والعربية وغيرها من اللغات الشرقية؛ بالإضافة إلى ذلك، كانوا يعرفون الفرنسية والإنجليزية، وبالطبع اللغة الألمانية. ووفقا لخطط القيادة العليا فإنه كان على الفيلق أن يظهر كقوة هجومية ضاربة من الناحية العسكرية، أما من الناحية السياسية فكان عليه أن يكون قوة دعم استراتيجي في الحملة الألمانية على القوقاز وبلدان الشرق الأدنى والأوسط، كما دخلت في صلب مهامه تنفيذ أعمال التخريب والاستطلاع، بالإضافة إلى العمل الدعائي التحريضي، وتحضير الأرضية والمجتمع المحلي للانخراط في إعداد الانتفاضات ضد السوفييت في القوقاز.

لكن هذه المهمات حالت دونها ظروف العمليات العسكرية التي لم تكن تسير في مصلحة الجيش الألماني الغازي، ذلك أنه لدى تموضع الفيلق في القوقاز، زادت الحاجة له لينخرط في الأعمال العسكرية والهجومية. هكذا في 1942/03/10، تلقت هيئة أركان مجموعة الجيش "A"، وهيئة أركان جيش الدبابات الأول، أمرًا بوضع الفيلق "F" تحت أمرتها؛ في 15/10 كان للفيلق أول احتكاك وتصادم مباشر مع فيلق الخيالة الرابع لقوزاق الكوبان عند الجناح الشمالي لجيش الدبابات الأول في شمال آتشيكولاك"[43].

تشير الوثائق العسكرية الروسية ومؤلفات العديد من المؤرخين الروس، إلى أن قرار مجلس قيادة الفيرماخت بشأن إعادة نشر القوات الخاصة ووحداتها القتالية من الشرق الأوسط إلى القوقاز، وتورطه حرب مواقع وجبهات، بدلًا من المهام التي أنشئ

لأجلها، أحدث استياء لدى المفتي الحسيني، وفي 29 آب 1942، وبعد أن علم بنقل الفيلق، بعث برسالة إلى رئيس مجلس القيادة المشير كايتيل (Keitel)، معترضًا بشدة على مثل هذا القرار. وبعد عدم تلقيه أي جواب يذكر، حاول مرة أخرى (في نهاية آب 1942) لكنه شعر أيضًا بخيبة أمل[44].

على العكس، قرر الكيلاني الذهاب مع الألمان حتى النهاية، وإذ أعرب عن الرغبة في مزيد من التعاون، فقد وضع شرطًا واحدًا فقط للحصول على تأكيد خطي بأن قيادة الجيش العراقي بعد للاستيلاء على القوقاز، ودخول الجيش الألماني إلى العراق ستنتقل القيادة إلى الضباط العراقيين، وسيتم فصل المتطوعين العراقيين من القوات المسلحة الألمانية وإلحاقهم بالجيش العراقي الجديد[45].

هذا الموقف الصادر عن الكيلاني عمّق من حدة خلافه مع المفتي الحسيني، ذلك أن المفتي الحسيني كان يفضل أن يعمل المقاتلين العرب بشكل منفصل ومستقل، وفي وحدات منفصلة تحت أعلامهم الوطنية، وعندما فشل في ذلك مع الألمان تقدم الحسيني باقتراحات إلى الإيطاليين بإنشاء فرقة عربية وذلك خلال المحادثات التي أجراها مع موسوليني وشيانو خلال زيارته الأولى إلى روما في تشرين أول 1941، وكان قد قدمها سابقًا إلى فايزساكر وريبنتروب وهتلر في برلين، وأضيف إلى النزاع عدم تطابق الموقف حول وحدة التدريب العربية الألمانية، وحول الفرقة العربية بشأن قيادتها والشعارات العربية والقومية ونص القسم، ومسألة عقد ميثاق عسكري مع الألمان، والاعتراف بوحدة التدريب العربية باعتبارها وحدة مستقلة فقط وتحت قيادة عربية[46]. ولأسباب تفاقم هذه الخلافات قرر في تشرين الأول وتشرين الثاني 1942 مغادرة ألمانيا، لينتقل إلى البوسنة، حيث عرض على حكومة "دولة كرواتيا المستقلة" المساعدة في تجنيد المسلمين المحليين، للعمل في وحدة مكافحة الأنصار والعصابات ومواجهة بروز تيتو، وبسبب هذا الموقف أعلنت الحكومة اليوغسلافية في عام 1945 أن الحسيني هو مجرم حرب وحكم عليه غيابيًا بالإعدام شنقًا.

شكّل منتصف خريف عام 1942، انعطافًا وتحولًا في معركة القوقاز، وفي تشرين الأول 1942، تعرضت الفرقة F لضربات شديدة في المعارك التي جرت هناك، حيث ظهر لدى القيادة الألمانية مخاوف جدية وشكوك حول قدرتها القتالية[47].

في كانون الثاني 1943، هزمت القوات السوفييتية هذا الفيلق، على الرغم من الدعم والتعزيز الذي تلقاه من الجيش الأول. في نهاية كانون الثاني أعيد الفيلق تحت أمرة "المقر الخاص F"، مجموعة جيوش الدون التي كان يقودها المشير مانشتين (General Field Marshal E. von Manstein). وفي شباط، تم سحب بقايا الفيلق المهشّم إلى تونس، لتحشيد تجمع القوات الإيطالية - الألمانية في إفريقيا،

التي انضم إليها بعض العرب الذين عاشوا في فرنسا، وهم من نواة فيلق الشمال الإفريقي الذي كان قد استخدم في العمليات المناهضة لقوات الأنصار الفرنسية التي قاتلت حكومة فيشي والاحتلال الألماني، كما شاركت في تشرين الأول 1941 في الأعمال الحربية في الجبهة الشرقية، كما كان له دور في معركة موسكو، وفي 1941 – 1942، قاتل ضد الأنصار السوفييت في المنطقة الخلفية لمجموعة جيوش الوسط "تسنتر"، وفي وقت لاحق، أصبح هذا الفيلق جزءًا من فرقة SS 33 الفرنسية "شارلمان"[48].

في 1943/08/11 بدأ إنزال القوات الأنجلو- أمريكية في شمال إفريقيا وسرعان ما تمكن المهاجمون من الاستيلاء على الساحل الجنوبي للبحر المتوسط، فيما ظلت تونس فقط تحت سيطرة دول المحور، ومن أجل الحفاظ على ما تبقى من الأراضي، قررت القيادة الألمانية استخدام المتطوعين المحليين، حيث تم إنشاء تشكيل عسكري كبير عرف باسم " Deutsch-Arabische Lehr Abteilung" (قسم التدريب الألماني- العربي) أو ببساطة " Deutsch Arabische Truppen"، وكان تابعًا لمقر جيش الدبابات الخامس ويتكوّن من خمس كتائب بما في ذلك الكتيبة التي ضمت "التشكيل رقم 288" الذي سبق ذكره، كما شملت أفرادًا كانوا ضمن عداد الكتائب الأفريقية، وهي التي أنشأتها حكومة فيشي في تشرين الثاني 1942 لحماية تونس من الأنجلو أمريكان.

أخيرًا، في 15 أيار 1943، استسلمت جميع هذه الوحدات والتشكيلات في معسكر رأس سينويون البالغ عددها 250.000.

- خاتمة:

يظهر أنَّ التعاون العسكري بين النازية والفاشية وبعض العرب، وإن بدا في بعض أوجهه ذا أبعاد دفعت الكثير من المؤرخين للتعامل معها بحذر شديد، إلا أنه من دون أدنى شك فإن العالم العربي استساغه إلى حدّ كبير، بل كان معجبًا إلى حدّ الثمالة بالكثير من الإنجازات التي تحققت في ألمانيا وإيطاليا، خصوصًا لجهة الصعود السريع لهذين النظامين وتحقيقهما الكثير من الآمال والوعود التي كان يحلم بها العرب في مرحلة تشكل الوعي القومي والتحرري، فيما شجعت كل من فرنسا وبريطانيا على الهجرة والاستيطان في فلسطين، إذ أنه ظهر أن ألمانيا وإيطاليا وقفتا سدًا منيعًا في طريق تحقيقها، على أنَّ لألمانيا تحديدًا أهدافها وهي السيطرة على منطقة واعدة وغنية بالكثير من الثروات الطبيعية والباطنية، فيما كانت إيطاليا تسعى لتعزيز نفوذها وتواجدها في المغرب العربي وليبيا.

وقد وصف أحد الشهود على حياة هتلر، هيرمان روشينج[49] هذا التعاون بأنه "وسيلة تكتيكية ناجحة لبذر الخلاف بين شعوب أوروبا (في المقام الأول إنجلترا وفرنسا) والدول الإسلامية". الباقي هو "شعارات دعائية كان يطلقها هتلر في المناسبات".

قد يجوز أنه وبرغم بعض الأدوار التي لعبتها التشكيلات العربية القتالية في

صفوف النازيين، إلا أن دورها بالمعنى العسكري، مقارنة مع ما قدمته تشكيلات من مسلمي البلقان، ومسلمي اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية وحتى سكان غرب أوكرانيا وبيلاروسيا للجيش النازي، يساوي صفرًا مكعبًا. ويمكن تفسير ذلك من خلال حقيقة أن القوات الألمانية لم تستطع الوصول إلى الشرق الأوسط، كما أن قادة العرب المؤيدين لألمانيا – المفتي الأكبر الحسيني ورئيس وزراء العراق السابق الكيلاني – كانوا في حالة خصومة دائمة، الأمر الذي تعارض مع قضيتهم المشتركة وأهدافها العامة. بحلول نهاية عام 1943، كان لدى القوات المسلحة الألمانية 5000 فقط من العرب الذين لم يتمكنوا من أن يتحولوا إلى "جيش التحرير" للشرق الأوسط بأكمله وشمال أفريقيا.

لكن الأهم الذي يجب أن نتوقف عنده يكمن في أنّ مسار الأحداث أظهر شيئًا آخر لا يقل أهمية، ذلك أن هتلر كان يدرك جيدًا أنه لا يمكن أن تكون هناك انتفاضة عربية شاملة وتدفق هائل من المتطوعين قبل أن يصل جيشه إلى شبه جزيرة سيناء. لذلك كانت كل المفاوضات السياسية مع القادة العرب خيالًا خصبًا ليس أكثر، ومحاولة لاستخدام سلطتهم لجذب الرأي العام في العالم العربي لأغراض الدعاية، وكذا بالنسبة "للاتصالات الألمانية – العربية" التي نشأت لهذه الغاية.

يجب أن يقال في هذا المقام، إن هذا هو الحال مع الاتصالات الطوعية التي كانت تجري مع دول أخرى، واستمر هذا الأمر حتى عام 1942 – 1943، عندما طغى الجانب السياسي على الجانب العسكري. ففي شباط- آذار 1942، هُزم الألمان في القوقاز، وفقدوا الفرصة التاريخية مرة وإلى الأبد لاقتحام منطقة الشرق الأوسط من الشمال. وفي أيار 1943 خسروا آخر معقل لهم على ساحل الشمال أفريقي، أما "فيلق العرب الأحرار" فلم يعد قادرًا على تجنيد وتعبئة أي أحد.

أخيرًا فإن مشكلة استخدام المواطنين الأجانب والعرب في القوات المسلحة الألمانية، مسألة بالغة التعقيد والتشويش، بل أنها ليست بسيطة كما يخيل للوهلة الأولى، لكنها في الوقت نفسه تحمل في طياتها عدة أسئلة تحتاج إلى إجابات صريحة، وهي: ما مدى أهمية مفهوم "التكوينات التطوعية الأجنبية"؟ ذلك أن تصنيفها يعتمد على ظروف إنشائها وتوقيته والغرض الوظيفي لها، ودراسة تركيبتها الدينية والأثنية أكثر من دراسة مستوى الإعداد والتدريب والتجهيز...

لقد كانت مسألة استحداث واستخدام تشكيلات من المتطوعين الأجانب قضية ظهرت كنتيجة لمجموعة من الأسباب والعوامل، من بين أهمها: تلك السياسية والعسكرية.

فلقد كان للجانب السياسي طابع دعائي واضح، يرتبط بمحاولة القيادة الألمانية إظهار تطلعاتها للعالم أجمع، وللشعب العربي ولشعب ألمانيا على وجه التحديد، أن مشروع ألمانيا الكبرى والقوية هو مشروع صادق وعظيم يستحق التضحية، فيقدمون

الدليل على ذلك أعداد المتطوعين من جميع الدول الأوروبية وحتى آسيا الذين يقاتلون إلى جانبها.

أما في المجال العسكري فإن القيادة الألمانية حاولت التعويض عن الخسائر العسكرية في جبهات عدة، ويظهر إلى جانب كل هذا وذاك على جبهات القتال في روسيا وفي الخطوط الخلفية أي في الدول التي احتلتها وكانت تشهد مقاومة سريّة بغية الحفاظ على الأمن والنظام في المناطق الخلفية للجيش.

على أن عاملًا آخر يبدو له شأن، وهي الدوافع الذاتية لفكرة القتال مع ألمانيا وإيطاليا، فلا شك أن الشعارات الكبرى للحزب النازي اجتذبت الكثير من العناصر التي تأثرت بأفكاره وخطابه، وكذا السياسة الاستعمارية الفظّة التي أظهرتها بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة التي لم تلق استحسانا لدى غالبية شعوب الأرض، أضيف إليها جميعًا العامل الإيديولوجي والعقائدي وحتى الديني الذي دفع بهؤلاء المتطوعين للانضمام إلى صفوف تشكيلات المتطوعين الألمان الذين كانوا يناهضون أفكار الحركات الشيوعية ويرتعدون من تمددها ويتهمونها بالإلحاد، كما عداء تلك العناصر القومية والشوفينية المتطرفة التي اجتذبتها شعارات هتلر البراقة، والتي كانت تخفيها مكانة شعوبها في منظومة "النظام العالمي" الألماني الذي آمنت بانتصاره الحتمي في المستقبل.

لقد استغلت ألمانيا علاقاتها مع بعض قادة الحركة الوطنية العربية لتشكيل أداة ضغط على بريطانيا من دون إعطائهم أي تصريح بحق الدول العربية بالاستقلال. لم تكن فلسطين في حسابات السياسة الخارجية الألمانية سوى أداة لتحقيق سياستها العنصرية ومصالحها الاقتصادية. فمن وجهة نظر الحكومة الألمانية، لبّت قضية فلسطين احتياجات الدعاية النازية وسياستها المناهضة لليهود، كما شكلت منفذًا لتحقيق مصالحها الاقتصادية في الشرق.

لقد سعت القيادة السياسية الألمانية على "تحفيز" المتطوعين من بلدان أوروبا الغربية والشمالية الغربية وأوروبا الوسطى، الذين كان معظمهم من مكون عرقي متجانس، فيما سعت جاهدة لتحريك المشاعر الدينية والعرقية لدى المتطوعين من جنوب شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي، كذلك العرب والهنود، الذين كانوا على خصومة تاريخية مع اليهود وعانوا كثيرا من تسلطهم على مفاتيح الاقتصاد والتعليم وسوى ذلك.

***

الهوامش

*** دكتور في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجامعة اللبنانية**

***

1- "... مما جاء في كلمة الإمبراطور: "أراني مبتهجًا من صميم فؤادي عندما أفتكر بأنني في مدينة عاش بها من كان أعظم أبطال الملوك الغابرة بأسرها الشهم الذي تعالى قدره بتعليم أعدائه كيف تكون الشهامة ألا وهو المجاهد الباسل السلطان الكبير صلاح الدين الأيوبي".
ثم توجه للسلطان عبد الحميد قائلا: ليوقن صاحب الشوكة السلطان عبد الحميد خان الثاني وثلاثمائة مليون من المسلمين المرتبطين بمقام خلافتكم العظمى ارتباطًا قويًا والمنتشرين في جميع أنحاء الكرة الأرضية، أن إمبراطور ألمانيا سيبقى محبًا لهم إلى الأبد، وها أنا أشرب نخب حضرة صاحب السلطان عبد الحميد خان الثاني. من مقالة للدكتور جورج جبور: دمشق منير عالمي.. خطاب غليوم الثاني في دمشق. موقع: Syrian Modern History

2- يشير المؤرخ عبد الرؤوف سنو إلى أن الزيارة شكلت أسطورة "الحاج غليوم" والتي مفادها أن القيصر الألماني اعتنق الإسلام، وأنه بصدد قيادة جيوشه لطرد المستعمرين الأوروبيين من البلدان الإسلامية. من مقالة لمحمد عبد الرؤوف سنو تحت عنوان "جهاد صنع في ألمانيا".

3- سنو عبد الرؤوف: الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي. بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، بيروت 2002، ص.7.

4- سنّو عبد الرؤوف: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، الفرات للنشر والتوزيع، 2007. ط.(1). بيروت، 2007، ص.332-333.

5- Ludwig Pinner, "Vermogenstransfer nach Palestina, 1933-1993", in: Zwei Welten, Siegfried
في كتاب صورة العرب في صحافة ألمانيا الاتحادية للدكتور سامي مسلّم، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1985، (1). ص.52.

6- في 15 نيسان 1936 حدثث أعمال عنف وقتل بين الطرفين اليهودي والعربي، ثم سرعان ما اندلعت الثورة العربية الكبرى في فلسطين مطالبة بوقف الهجرة اليهودية ومنع بيع الأراضي لليهود ومنح البلاد الاستقلال الكامل، فأعلن عن تشكيل لجنة للتحقيق في هذه الأحداث في شهر آب 1936. هذه اللجنة وصلت إلى فلسطين في 11 تشرين الثاني/نوفمبر 1936 وحلفت اليمين أمام المندوب السامي في اليوم التالي، وكانت مؤلفة من خمسة أعضاء إضافة لرئيسها اللورد وليام روبرت بيل (W.R. PEEL)، استمر عمل هذه اللجنة ستة أشهر، عقدت خلالها اجتماعات مع شخصيات يهودية مثل بن غوريون وحاييم وايزمن وشخصيات عربية مثل الحاج محمد أمين الحسيني، ومسؤولين بريطانيين، ثم نشرت تقريرها في 1937/7/7.

7- عقل محمد. اللجنة الملكية البريطانية وقرار التقسيم الأول.
www.arab48.com-محليات/دراسات/
وتقارير/26/11/2016/اللجنة-الملكية-البريطانية-وقرار-التقسيم-الأول

8- هيرزوير لوكاز: ألمانيا الهتلرية والمشرق، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2015، (53)

9- من فولف إلى وزارة الخارجية في 20 نيسان/ أبريل 1933:
PA (Politisches Archiv - Bonn): Abt. III, Politik 2, Bd. 1, L356584

10- رسالة فون هنتغ في 8 تشرين الثاني 1937: PA: Pol. Abt. Politik 5, Bd. 2.

11- في مذكرة هربرت صموئيل إلى الحكومة البريطانية بشأن وضع فلسطين بعد الحرب في آذار 1915، وضع الأخير عدة احتمالات بشأن مستقبل فلسطين ومنها عدم ترك البلاد بيد تركيا، حيث اعتبر أن فلسطين فسدت تحت حكم الأتراك وأصابتها الآفات ولم تنتج لمئات من السنين رجالا أو أشياء مفيدة للعالم. سكانها الأصليون غارقون في القذارة بالطرقات والموانئ، الري والصحة العامة مهملة. والدلائل الوحيدة تقريبًا على الحيوية الزراعية أو الصناعية لا توجد إلا في المستعمرات اليهودية، وعلى نطاق أصغر في المستعمرات الألمانية. المسؤولون الأتراك هم غرباء عن البلاد. ولا أثر للسكان الأتراك فيها، أما الحكام (الولاة) الذين يتبعون بعضهم بعضا بتلاحق سريع، فلا همَّ لهم إلا كمية الأموال التي يعتصرونها من البلاد لإرسالها إلى الأستانة، فلو أمكن الدول الغربية أن تنقذ فلسطين من الأتراك، لكان من واجبهم القيام بذلك على غرار ما فعلت لإنقاذ الولايات الأوروبية التابعة لتركيا. وفضلا عن ذلك، إذا كانت سورية الشمالية من نصيب فرنسا والعراق حصة إنجلترا فلا سبب هناك لترك فلسطين، مفردة ومعزولة ملكا للأتراك. كما وضع اقتراحًا غالبا هو إنشاء دولة يهودية تتمتع بالحكم الذاتي في فلسطين.
www.palestine-studies.org/sites/default/files/Memorandum_on_the_Future_of_Palestine.pdf

12- إسماعيل عادل: السياسة الدولية في الشرق العربي، الجزء الخامس، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت، 1970، ص 114.

13- هيرزويز لوكاز: المصدر نفسه، ص.55.

14- الجيش البريطاني الهندي هو جيش الهند البريطانية شكل عام 1895 بعد إطلاقه رسميًا على الجيوش الثلاثة المتواجدة في الهند وهي كل من: جيش مدراس وجيش بومبي وجيش البنغال، وظل الجيش قائمًا حتى استقلال الهند عام 1947، شارك الجيش في الحرب العالمية الأولى وتألف من أكثر من 500 ألف فرد كما شارك أيضًا في الحرب العالمية الثانية بمليونين ونصف جندي. قائد الجيش الهندي هو حاكم الهند المعين من قبل بريطانيا، بعد استقلال الهند ضمت عناصر هذا الجيش إلى جيوش باكستان والهند وبنغلادش. المصدر
Barua ،Pradeep (2003). The Gentlemen of the Raj. Westport, CT: Praeger Publishing

15- شباب هتلر، رابطة الفتيات الألمانيات وغيرها من المنظمات نشأت بواسطة النظام النازي منذ العشرينات الميلادية بهدف تجهيز الفتيان للالتحاق بالخدمة العسكرية وتحضير الفتيات لدورهن المستقبلي في الأمة الألمانية.

16- قصة زيارة غوبلز غير مؤكدة، لكن مدوَّنة فى سيرة الشاعر والصحفي كامل الشناوي دوَّنها الكاتب يوسف الشريف في كتابه الفريد عن حياة الشناوي «آخر ظرفاء العصر»، وترجع إلى بدايات اشتغال كامل بالصحافة حين التحق للعمل محررًا برلمانيًا بجريدة «الأهرام»، مقرَّب جدًا من رئيس الوزراء محمد محمود باشا، ويرتبط معه بصداقة تجعله ضيفًا شبه دائم على العشاء في قصر رئيس الحكومة، ومن بين القصص فى قصر رئيس الوزراء، تحدَّث محمد محمود باشا عن أن جوزيف

جوبلز يزور القاهرة سرًّا هذه الأيام، والتقى رئيس الحكومة وعددًا من المسؤولين، وتستضيفه الحكومة فى فندق «سميراميس»، وأن المباحثات بين الجانبين تطرقت إلى موضوعات بالغة الخطورة تخصّ العلاقات بين مصر وألمانيا، ومستقبل الاحتلال البريطاني لمصر. من مقالة لأحمد الصاوي في صحيفة التحرير، 27 أيار تحت عنوان: جوبلز في القاهرة".

www.tahrirnews.com/Story/137385-جوبلز-في-القاهرة/مقالات/

[17]- في منتصف الثلاثينات عمل أيخمان في مكتب112 II لجهاز الأمن الذي هدف إلى مراقبة الأنشطة اليهودية، وتعامل مع موظفين صهيونيين، وقام أيضًا بجولة تفقدية بفلسطين سنة 1937. الجهد الذي بذله أيخمان لتنظيم الهجرة اليهودية الصهيونية من ألمانيا بكل الوسائل الموجودة جهّزته للقيام بأنشطة أخرى في المستقبل. وفي 1937 غادر إلى فلسطين لدراسة جدوى ترحيل اليهود من ألمانيا إلى فلسطين، وعدم حصوله على تأشيرة دخول من السلطات البريطانية حالت دون دخوله إلى فلسطين. توجه بعدها إلى القاهرة حيث التقى أحد عناصر منظمة الهاغانا وكما التقى مع مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني.

http://www.alankabout.com/various_files/biographies/10992.html

[18]- راجع كتاب عبد الرؤوف سنو: الإسلام في الدعاية الإسلامية في المشرق العربي خلال الحرب العالمية الأولى

[19]- منسى محمود: الشرق العربي المعاصر، القسم الأول الهلال الخصيب، 1990، ص.286

[20]- ماrديني زهير: فلسطين والحاج أمين الحسيني. دار اقرأ، بيروت 1986، ص.139-140.

[21]- علي محافظة: موقف ايطاليا وفرنسا وألمانيا من الوحدة العربية 1919-1945، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985.

[22]- بهدف تحقيق ضربة فاعلة للقوات البريطانية في المنطقة اختارت القيادة الألمانية الطيار البارز الميجور (اكسل فون بلومبرغ) وهو ابن الفيلد مارشال المشهور (فيرنر فون بلومبرغ) للقيام بجولة استطلاعية بالعراق للتمهيد بتأسيس فرقة عسكرية عراقية وعربية من المتطوعين وبقيادة المانية. أطلق الاسم الحركي (سبيشل ستاف اف) على الطيار اكسل وكان تحت امرة الجنرال (هلموت فيلمي).

المصدر: جريدة المدى الالكترونية للاعلام والثقافة والفنون، 29-5-2016، عنوان المقالة: ماذا جرى للطيار الألماني فوق بغداد في 15 مايس 1941؟ تاريخ النشر: الأحد 29-05-2016.

[23]- إبراهيم بايلي حجي مراد. المقر الخاص "F"، المرتزقة العرب في صفوف جيش هتلر. باللغة الروسية.

https://history.wikireading.ru/285919

[24]- عبد الكريم العمر: مذكرات الحاج أمين الحسيني. الأهالي للطباعة والنشر، دمشق 1999، ص. 108.

[25] - أنظر: م. ن.، ص. 111.

[26]- هيرزوبر لوكاز: ألمانيا والمشرق العربي، ص. 119

[27]- هي مجموعة الجيوش الوسطى، وهي تشكيل عسكري بحجم مجموعة جيوش تم تأسيسه في 22 حزيران 1941 وشارك في غزو الاتحاد السوفييتي، وضمت مجموعة الجيوش الوسطى 49 فرقة عسكرية وأنيطت قيادتها بالجنرال فيدور فون بوك.

[28] - Ibid., 482665-67

[29]- مذكرات الحاج أمين الحسيني، م. ن.، ص.119-120

[30]- ابراهيمبايلي حجي مراد. م. ن.

[31]- أوكوركوف أكساندر فاسيلييفيتش. التشكيلات العسكرية المعادية للسوفييت في الحرب العالمية الثانية. أطروحة غير منشورة، موسكو، 2000. عدد الصفحات 479. (باللغة الروسية).

http://www.dissercat.com/content/antisovetskie-voinskie-formirovaniya-v-gody-vtoroi-mirovoi-voiny

[32]- عبير حيدر الشيخ: السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية (1939-2008)، الهيئة السورية العامة للكتاب، 2012، ص. 55-56.

[33]- أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين. المكتبة العصرية. صيدا، ص. 210

[34]- لوكاز هيرزويز: المانيا الهتلرية في الشرق العربي. ترجمة أحمد عبد الكريم- دار المعارف، مصر 2015 -ص 343.

[35]- لوكاز هيرزويز: المانيا الهتلرية في الشرق العربي، م. ن.، ص 337.

[36]- F.O 226, document 265. Le 25 avril 1940.

في منشورات الجامعة اللبنانية 45، أوروبا والشرق الأدنى، الجزء الثاني، مجموعة باحثين، بيروت 2002. ص 137

[37]- أنظر منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية 2002، ص 123، من بحث للدكتور علي شعيب.

[38]- عبد الكريم العمر: مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، دار الأهالي، دمشق 1999.

[39]- في نهاية عام 1940 بدأت خدمة الدعاية الألمانية في الدول العربية بالإعلان على نطاق واسع عن الموقف الخاص للنازيين تجاه المسلمين. أفرج الألمان عن 10000 جندي عربي من دول المغرب العربي الذين خدموا في الجيش الفرنسي وتم أسرهم، وبمساعدة المهاجرين الجزائريين، بدأ الألمان في نشر صحيفة الراشد في باريس المحتلة، مما ساعد خدمة الدعاية وAbwehr التي عملت على خلق مناخ من الود من لدن الرايخ الثالث إلى الشعوب العربية.

[40]- غوبرنيه بيسارابيا هي محافظة إدارية ضمن الإمبراطورية الروسية تأسست عام 1812 بموجب معاهدة بوخارست التي أنهت الحرب الروسية العثمانية عام 1812، وطبقا للاتفاقية

يضم القسم الشرقي لإمارة مولدوفا الخاضعة للدولة العثمانية إلى الإمبراطورية الروسية. انفصلت غوبرنية بيسارابيا عن الإمبراطورية الروسية عام 1917 بعد إقامة (المجلس الوطني لمولدوفا في ذلك الوقت) فأصبحت بذلك الجمهورية الديموقراطية المولدوفية في كانون ألأول 1917. اتحدت الجمهورية الجديدة مع رومانيا في نيسان 1918. 70% من غوبرنيه بيسارابيا يوجد الآن في مولدوفا و30% في أوكرانيا.

[41]- Романько О.В. Мусульманские легионы во Второй мировой войне. — М.: АСТ; Транзиткнига, 2004.С. 49

[42]- Munoz A.J. Forgotten Legions: Obscure Combat Formations of the Waffen-SS. New York, 1991. P. 228.

43- Ибрагимбейли Х.М. Крах «Эдельвейса» и Ближний Восток. М., 1977. С. 68–69

[44]- Ибрагимбейли Х.М. Крах «Эдельвейса» и Ближний Восток. М., 1977. С. 68–69

[45]- Дробязко С.И. «Восточные войска» в вермахте 1941–1945 / / Наши вести. 1994. № 436. С. 15–17; № 437. С. 8–10.

[46]- أنظر لوكاز هيرزوبر، مصدر ورد آنفًا. يورد المؤلف أن وثائق وزارة الخارجية الألمانية تحتوي على كثير من الوثائق والتقارير الخاصة بالتهديدات المتبادلة. وقد ذكر شيانو في مذكراته بتاريخ 26 تموز 1942 ما يلي "إن كلا من المفتي والكيلاني يثير منازعات صاخبة، وغروبا يسكب الزيت على النار".

Ciano Diary ,London, 1948

[47]- Минаев В. Подрывная деятельность германского фашизма на Ближнем Востоке. М.: Госполитиздат, 1942

[48]- Герцштейн Р.Э. Война, которую выиграл Гитлер: Пер. с англ. Смоленск: Русич, 1996.

[49]- هيرمان روشينج أحد الشهود فى الحرب العالمية الثانية الذى ادعى أن هتلر كان مذنبًا خلال الحرب العالمية الأولى، حيث تم استدعائه للمحكمة العسكرية بعدما تم اتهامه باللواط بالأطفال وممارسة الجماع مع ضابط، وقد وجدت المحكمة العسكرية فعلا أن هتلر مذنبًا، كما ادعى هيرمان مجددًا أن هتلر انتهك الفقرة 175 من دستور ألمانيا خلال وجوده في ميونيخ، بسبب قيامه بممارسات مثلية. وتأتي هذه الادعاءات والمواقف من بين سلسلة ادعاءات أصر عليها روشيينج في شهادته ضد هتلر.

***

قائمة المصادر والمراجع:

1- إسماعيل (عادل): السياسة الدولية في الشرق العربي، الجزء الخامس، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت 1970.

2- أبو بصير صالح مسعود: جياد شعب في فلسطين خلال نصف قرن. دار الفتح، 1968.

3- آن سميث باميلا: فلسطين والفلسطينيون 1876-1983، ترجمة: الهام بشارة الخوري، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق 1991.

4- العمر عبد الكريم: مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني، دار الأهالي، بيروت 1999.

5- أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين، المكتبة العصرية، صيدا 1966.

6- أوكوركوف ألكساندر فاسيلييفيتش: التشكيلات العسكرية المعادية للسوفييت في الحرب العالمية الثانية. أطروحة غير منشورة باللغة الروسية.

7- بيتر فين، رينيه فيلدنغل، غرهرد هب: عميان عن التاريخ؟! العرب وألمانيا النازية واليهود، ترجمة محمد جديد، شركة قدمي للنشر والتوزيع، ط.1، بيروت 2007.

8- جبارة تيسير: تاريخ فلسطين، دار الشروق، عمان، 1998.

9- زهير ماrديني: فلسطين والحاج أمين الحسيني. دار إقرأ، بيروت 1986.

9- سنو عبد الرؤوف: الإسلام في الدعاية الألمانية في المشرق العربي. بحوث تاريخية مهداة إلى منير إسماعيل، بيروت 2002.

10- سنّو عبد الرؤوف: ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين. الفرات للنشر والتوزيع، ط.1. بيروت 2007.

11- سنو عبد الرؤوف: المصالح الألمانية في سوريا وفلسطين 1841-1910. معهد الإنماء العربي، بيروت 1987.

12- شوفاني إلياس: الموجز في تاريخ فمسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى 1949، ط 2، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1998.

13- شعيب علي: أشكال العلاقة بين دول المحور والمشرق العربي، منشورات الجامعة اللبنانية، قسم الدراسات التاريخية، 2002

14- شبيكة مكي: العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى. دار الثقافة، بيروت 1971.

15- صالح محسن محمد: القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، لبنان 2012.

16- علي محافظة: موقف إيطاليا وفرنسا وألمانيا من الوحدة العربية 1919- 1945، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 1985

17- عبد الغني عبد الرحمان: ألمانيا النازية وفلسطين 1933- 1945، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت 1995

18- عيسى السفري: فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، ج 1، مكتبة فلسطين الجديدة، يافا 1937.

19- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر 2005.

20- عبير حيدر الشيخ: السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية (1939-2008)، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق 2012.

21- عبد الهادي مهدي: المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول 1934-1974، ط4، منشورات المكتبة العصرية، بيروت 1992.

22- غنيم حسن عادل: الحركة الوطنية الفلسطينية من ثورة 1936 حتى الحرب العالمية الثانية.

23- قمصية مازن: المقاومة الشعبية في فلسطين تاريخ حافل بالأمل والإنجاز، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديموقراطية، فلسطين 2011.

24- منسى محمود: الشرق العربي المعاصر، القسم الأول الهلال الخصيب. 1990.

25- هيرزوير لوكاز: ألمانيا الهتلرية والمشرق القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2015. مكتبة الخانجي، مصر 1980.

- **المراجع باللغات الأجنبية:**

1- Ciano Diary ,London, 1948

2- Christine Levisse-Touzé, Les camps d'internement en Afrique du Nord pendant la seconde guerre mondiale

3- Ibid., 482665-67

4- Hillgruber A. Hitlers Strategie, Politik und Kriegsführung 1940-1941. – Frankfurt-am-Main

5- Matar Philip: the mufti of Jerusalem mohammed amin Al hussayni a founder of Palestinian nationalism ،Columbia university ،1981.

6- Marloe john: rebellion in palastine, the cresset press ،London, 1946

7- Munoz A.J. Forgotten Legions: Obscure Combat Formations of the Waffen-SS. New York, 1991. P. 228.

8- Tillman H. Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg. – Berlin.

9- Сергей Воробьев: Арабы и Вторая мировая война

10- Герцштейн Р.Э. Война, которую выиграл Гитлер: Пер. с англ. Смоленск: Русич, 1996.

11- Дробязко С.И. «Восточные войска» в вермахте 1941–1945 / / Наши вести. 1994. № 436. С. 15–17; № 437. С. 8–10.

12- Ибрагимбейли Х.М. Крах «Эдельвейса» и Ближний Восток. М., 1977

13- Минаев В. Подрывная деятельность германского фашизма на Ближнем Востоке. М.: Госполитиздат, 1942.

14- Окороков А.В. Антисоветские воинские формирования в годы Второй мировой войны. – М., 2000

15- Романько О.В. Мусульманские легионы во Второй мировой войне. — М.: АСТ; Транзиткнига, 2004.С. 49

16- Шерстюков Сергей Андреевич: Арабский вопрос" в политике Германии накануне и в годы Второй мировой войны, disserCat — научная электронная библиотека, 2012

- **مقالات ومواقع الكترونية:**

1- أرشيفهم وتاريخنا: قناة الجزيرة، الحاج أمين الحسيني، ج1، 2018/01/24 www.aljazeera.net، الساعة العاشرة صباحا.

2- أرشيفهم وتاريخنا: قناة الجزيرة، الحاج أمين الحسيني، ج5، 2018/02/23 www.aljazeera.net، عند الساعة التاسعة ليلا.

- **مواد الأرشيف:**

1- F.O 226, document 265. Le 25 avril 1940

2- La Délégation Française auprès de la Commission Allemande d'Armistice. Recueil de documents publiés par le Gouvernement Français, Vols, I-V, Paris, 1947-95.

3- archive.mil.ru الأرشيف الرئيس لوزارة الدفاع الروسية.

4- rgaspi.org أرشيف السياسي الاجتماعي الروسي في الحرب الوطنية العظمى.

- **معاجم وقواميس وموسوعات:**

1- www.palestinapedia.net

2- http://www.moqatel.com/openshare/Behoth/index.htm

3- الكيالي عبد الوهاب: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، (د ت).

***